جورج أورويل

مزرعة الحيوان



الأنصار
ترجمة . نشر . توزيع

ترجمة: عبد الهادي عبلة

☆ **مزرعة الحيوان**

☆ **تأليف: جورج أورويل**

☆ **ترجمة: عبد الهادي عبلة**

☆ الطبعة الأولى

☆ عدد النسخ ١٠٠٠ نسخة

☆ تاريخ: ١٠/١/١٩٩٦

☆ رقم الأصدار: ٦/٢/٩٦

☆ منشورات دار الأنصار

دار الأنصار - دمشق - ص.ب: ٦٠٣٩٠ - هاتف: ٣١٢١٧٦٧

جـــورج أورويـــل

مزرعــة الحيــوان

ترجمة: عبد الهادي عبلة

دار الأنصار - دمشق - ص.ب: ٦٠٣٩٠ - هاتف: ٣١٢١٧٦٧

تقديم

المزرعة الخالدة

رغم أعماله القليلة التي لا تتجاوز ١١ كتاباً، فإن جورج أورويل يعتبر من أشهر أدباء بريطانيا وأوسعهم انتشاراً. ولد هذا الكاتب في الهند، تحت اسم اريك بلير عام ١٩٠٣ كان ذلك في أوج الامبراطورية البريطانية، الموزعة بين الهند وبورما. وعاد مع والدته إلى بريطانيا عندما كان في الرابعة من العمر، لكنه عندما بلغ سن الشباب، انخرط في سلك البوليس الامبراطوري في بورما بين عامي ١٩٢٢ و١٩٢٧ . وهذه الفترة ذات دلالة هامة وتأثير كبير على روايته "مزرعة الحيوانات"، التي يقال انه استلهمها من شخصيات حقيقية في بورما. ولكن الرائع في أورويل أنه استطاع أن يكسب أدبه معالم الخلود، ويجعل من هجومه على الأنظمة "التوتاليتارية" القمعية موضوعاً يتجاوز حدود الزمان والمكان.

عاش جورج أورويل حياة بائسة فقيرة، إذكره نشأته وطبقته الاجتماعية، واختار أن يحيا حياة بسيطة للغاية، أقرب لحياة المسحوقين، ممارساً إلى جانب الكتابة هوايته في زراعة الخضار وتربية الدواجن. وكان بذلك يحقق الانسجام بين أدبه وسلوكه. وكانت أحواله المعاشية على غير مايرام، حتى وفاته، إذ نالت رواياته بعدها الشهرة والربح، بحيث اغتنى ورثته من بعده عندما فارق هذه الدنيا عام ١٩٥٠ .

نشر جورج أورويل عدة روايات تسجيلية في بداياته، لعل أشهرها: "داخل وخارج باريس ولندن" (١٩٣٣)، "الطريق إلى ميناء ويغان" (١٩٣٧)، وغيرها. وفي عام ١٩٣٦ ذهب أورويل إلى اسبانيا ليقاتل إلى جانب الجمهوريين في الحرب الأهلية الدائرة هناك، لكنه كتب روايته "من أجل كاتالونيا" (١٩٣٨) ليعبر عن نفوره وانتقاده للطرف الذي قاتل إلى جانبه. وما لبث أن كتب في عام ١٩٤٥ "مزرعة الحيوانات" التي هاجم فيها الشيوعية. ورغم كون تلك الرواية لم تجد مجدها إلا في أميركا، فقد أصبحت هي وروايته التالية الأخرى "ألف وتسعمائة وأربع وثمانون" (١٩٤٩) أشهر عملين للكاتب. وإذا كان أورويل قد تنبأ في الأولى بصورة الحكم الشمولي الذي يزعم أنه وجد ليستعيد العدالة، بينما يمثل ذروة الظلم والطغيان، فإنه في روايته الثانية رسم صورة قاتمة ولاذعة السخرية لمصير بريطانيا في ظل نظام حكم شمولي. والحق يقال، فإن أورويل استطاع ببصيرة نافذة التقاط عدد وافر من التفاصيل الحياتية المقنعة حول الكابوس المهيمن على الناس وعواطفهم، حتى تحولت الرواية إلى فيلم سينمائي فيما بعد يحفل بالإثارة والتشويق دون أن يفتقر إلى العمق.

ولكن المديح الغربي الذي كيل لهذين العملين إنما تم لاعتبارات سياسية دعائية، بحيث غطى ذلك على تقويمهما أدبياً. ورغم ادعاء أورويل بأنه يهدف إلى تحويل السياسة إلى فن، فقد رحل عن عالمنا قبل أن يتمكن من تحقيق هدفه بالكامل، إذ أن عمليه الرائعين ظلا يحملان نبرة وعظية، كما تضمنا شيئاً من الصنعة الظاهرة، والتبسيط الساذج. ففي أعمال كاتب معاصر آخر كفرانز كافكا يمكن أن يلمح القارىء عمقاً فلسفياً أكبر، ورمزية أشمل. وبما أن حياة جورج أورويل لم تكن هينة ولا هانئة، فقد توفي بمرض السل. إلا أن ماعجل بوفاته على الأرجح هو عدم رضاه،

واحباطاته، وتعطشه الدائم إلى الانشقاق والعصيان والتمرد ورفض الحلول الاصلاحية الوسط.

ولعل رواية أورويل "الصعود للتنفس" هي أشد أعماله إحكاماً من الناحية الأدبية، فهي عبارة عن سرد بضمير المتكلم لذكريات حافلة بالحنين في مواجهة واقع متخلف ومخيب للآمال بعد مرور زمن. إنها أكثر رواياته واقعية ورهافة، وربما أدعاها إلى الابتسام. عموماً، كان جورج أورويل سيداً من سادة التهكم، حتى في تعليقاته النقدية ومقالاته المتفرقة. ومن بين تعليقاته اللاذعة عن شكسبير، كتب ينتقده في وضعه الحكمة على ألسنة المهرجين والمجانين. كما علق على حبكة "الملك لير" ساخراً بأنها درس للطغاة كي لا يتخلوا لأحد عن امبراطورياتهم.

هكذا كان جورج أورويل.. كاتباً بارعاً، وذهناً حراً متوقداً، لا يعجبه شيء، ولا يكف عن النقد، رغم أنه قنع بحياة بسيطة وبدائية للغاية في انسجام تام مع الطبيعة، وزهد بالثروة والشهرة والمناصب.

رياض عصمت

الفصل الأول

أسـطـورة

لقد أقفل مستر جونز صاحب مزرعة الحانوت جميع قنن الدجاج لتلك الليلة ولكنه كان سكراناً لدرجة عظيمة جعلته ينسى أن يقفل الفتحات الجانبية. وهكذا تمايل عبر الساحة، ودائرة النور من فانوسه ترقص من جانب لآخر، ثم خلع حذاءه بجانب الباب الخلفي وصبّ لنفسه قدحاً من البيرة من البرميل الموجود في المطبخ وذهب إلى فراشه، حيث كانت مسز جونز تغطّ في نومها.

وعندما انطفأت الأنوار في غرفة النوم كانت هناك حركة ورفرفة في كافة أبنية المزرعة. لقد سرت الأخبار خلال النهار أن "ميجر" العجوز - الخنزير الذي فاز بجائزة الموسم - قد رأى حلماً عجيباً في الليلة السابقة وأنه يرغب في قصّه على الحيوانات الأخرى.. ولقد اتفق الجميع على الاجتماع في الزريبة الكبرى حالما ينزل مستر جونز في فراشه. وميجر العجوز كان محترماً من الجميع لدرجة كبيرة مما حمل الحيوانات كلها على الاستعداد التام لإضاعة نوم ساعة لكي يسمعوا مايريد أن يقول.

ولقد كان ميجر في إحدى زوايا الزريبة الكبرى قابعاً في فراش من القش على مصطبة مرتفعة تحت الفانوس الذي كان معلقاً على أحد الأعمدة. كان يبلغ الثانية عشرة من عمره ولقد أصبح بديناً محدثاً ولكنه

لا يزال يتمتع بذلك المنظر البديع وهيئة الحكيم المحسن رغم أن أنيابه لم تكن قد قُلعت قط.

وبعد قليل تواردت بقية الحيوانات وأصبحت تفتش عن أماكن مريحة كل حسب طبيعته. وكان الكلاب الثلاثة - بلو بل، جسي، بيتشر - أول الواصلين وبعدهم الخنازير الذين جلسوا على القش أمام المصطبة. أما الدجاجات فقد حطت على جوانب الشبابيك، وطارت الحمامات إلى الرفوف العالية. ولكن البقرات والأغنام اضطجعت خلف الخنازير تجتر. ودخل بعد ذلك الحصانان الوحيدان - بوكسر وكلوفر - المزرعة معاً يمشيان ببطء ويضعان حوافرهما على الأرض بحذر خوفاً من أن تكون بعض الحيوانات الصغيرة قد اختبأت بين القش. أما كلوفر فقد كانت فرساً أماً في حوالي منتصف العمر والتي لم تستعد رشاقة هيكلها بعد مجيء ولدها الرابع. ولكن بوكسر كان حيواناً ضخماً يبلغ ارتفاعه ١٨ شبراً تقريباً وكانت له قوة حصانين عاديين معاً؛ غير أن تلك الشريطة البيضاء حول أنفه جعلته يبدو قليل الذكاء وفي الحقيقة إنه لم يكن يتمتع بذكاء ممتاز ولكنه كان محترماً من قبل الجميع لما كان يتمتع به من صلابة الطبع وقوة خارقة على العمل. ودخلت موريل - العنزة البيضاء - بعد الخيل وبعدها دخل الحمار بنجامين. كان بنجامين أكبر الحيوانات سناً ولكنه كان أسوأها طبعاً. كان قلّما تحدث وعندما حاول الكلام كانت كلماته عادة تأملات متشائمة. فعلى سبيل المثال: كان يقول أن الله أعطاه ذنباً ليبعد عنه الذباب ولكنه كان يتمنى لو أنه لم يكن هناك لا ذنب ولا ذباب!! ومن بين جميع حيوانات المزرعة كان لا يضحك أبداً وكان إذا سئل عن السبب أجاب أنه لم ير هناك مايضحك. على أي حال كان - رغم أنه لم يعترف بذلك علناً - مولعاً ببوكسر. لقد كانا هما الاثنان عادة يقضيان أيام

الآحاد معاً في المرتع الصغير خلف البستان يرعيان جنباً إلى جنب دون أن يتكلما إطلاقاً.

وعندما أخذ الحصانان مكانيهما من المجلس قدم سرب من البط ـ كان قد أضاع أمه ـ قدم إلى الزريبة يتمايل بضعف من جانب آخر يجدّ ويفتش عن مكان حيث يكون في مأمن من الحيوانات الأخرى. ولقد أحاطتهم كلوفر بساقها الكبرى كنوع من الجدار واستقرت البطات في داخله وغطت كلها في نوم عميق. وفي آخر لحظة دخلت موللي تلك المهرة الطائشة البيضاء التي كانت تجر عربة مستر جونز. ولقد دخلت تتمايل وتمضغ قطعة من السكر. جلست في المقدمة وبدأت تداعب شعر غرتها الأبيض آملة أن تسترعي انتباه الآخرين إلى القصبة الحمراء التي ربط بها. وأخيراً دخلت القطة التي نظرت حولها كالعادة لتجد لنفسها أدفأ مكان وجلست بين بوكسر وكلوفر حيث قضت كل وقتها في الصلاة دون أن تسمع ولو كلمة واحدة من خطاب ميجر.

وهكذا اجتمع جميع الحيوانات ماعدا موس ـ الشوحة الأليفة ـ التي نامت على عمود خلف الباب. وعندما رأى ميجر أن الجميع قد جلسوا كل حسب عادته وأخذوا ينتظرون بإصغاء نظّف حنجرته وبدأ قائلا: "أيها الرفاق ـ لقد سمعتم مسبقاً شيئاً عن الحلم العجيب الذي رأيته ليلة أمس. ولكني سأعود إليه فيما بعد. هناك شيء آخر أود أن أحدثكم عنه أولاً. لا أعتقد أيها الرفاق أنني سأبقى معكم لمدة أشهر عديدة ولكني قبل موتي أشعر أنه من واجبي أن أعلّمكم الحكم التي تعلمتها. لقد قضيت عمراً طويلاً وكان لدي الكثير من الوقت للتفكير كلما اضطجعت وحيداً في الاصطبل وأعتقد أنه يمكنني القول أني أفهم طبيعة الحياة على هذه الأرض كما يفهمها أي حيوان آخر على قيد الحياة وإني أحب أن أحدثكم الآن

حول هذا الموضوع.

والآن أيها الرفاق علينا أن نتساءل ماهي طبيعة حياتنا هذه؟. دعونا نواجه الحقيقة: إن حياتنا تعيسة، منهكة، وقصيرة ـ نولد ونعطى من الطعام لا أكثر مما يحفظ أنفاسنا في صدورنا، وأما هؤلاء الذين يستطيعون القيام بأي عمل فإنهم مجبرون على القيام به حتى آخر ذرة من قواهم. وفي اللحظة التي تنتهي فيها قدرتنا على العمل نساق إلى المذبح بوحشية ضارية. لا حيوان في انجلترا يعلم معنى السعادة أو الراحة بعد مضي عام واحد من عمره. لا حيوانات حرة في انجلترا. حياة الحيوان هي حياة شقاء وعبودية: هذه هي الحقيقة الواضحة. ولكن هل يشكل هذا جزءاً من النظام الطبيعي؟ هل فقر الأرض هنا هو السبب الذي يمنع قيام حياة شريفة لسكانها؟ كلا أيها الرفاق وألف كلا. إن تربة انجلترا خصبة ويمكن أن تنتج الكثير من الطعام لعدد من الحيوانات أضخم كثيراً من الذي يقطنها الآن. إن مزرعتنا هذه لقادرة على إعالة عشرة من الخيل، عشرين بقرة، ومائة نعجة ـ وكلهم يعيشون بنعيم وكرامة لا يمكن تصورهما الآن. فلماذا إذن نستمر في هذه الظروف التعيسة؟ لأن معظم الحاصلات يسرقها الإنسان. هنا أيها الرفاق يكمن الداء لكل معضلاتنا ويمكن اختصاره في كلمة واحدة ـ الإنسان. الإنسان هو عدونا اللدود. أزيحوا الإنسان من على المسرح وسترون أن السبب الجذري للجوع والانهاك سيختفي إلى الأبد. الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يستهلك بدون أن ينتج. إنه لا يعطي حليباً ولا يبيض. إنه ضعيف على جر المحراث ولا يستطيع أن يقبض على الأرانب جرياً. وعلى الرغم من كل هذا فإنه سيد الحيوانات كلها. إنه يرسلهم للعمل ويعطيهم الحد الأدنى الذي يمنعهم من الموت جوعاً محتفظاً بالباقي كله لنفسه. إننا بجهدنا نحرث الأرض وبروثنا نسمّدها ورغم ذلك فليس هناك أي حيوان

يملك أكثر من جلده فقط.

أنتن أيتها البقرات اللائي أرى أمامي - كم ألف جالون من الحليب أعطيتن خلال السنة الفائتة؟ وماذا حصل للحليب الذي كان يجب أن يغذي عجولكن الفتية؟ لقد ذهبت كل قطرة منه إلى أفواه أعدائنا. وأنتن أيتها الدجاجات كم من البيض وضعتنّ خلال السنة نفسها وكم من هذا البيض أصبح صيصاناً؟ لقد نقل الباقي إلى السوق ليكسب النقود لمستر جونز ورجاله. وأنت ياكلوفرا أين الأربع مهرات اللاتي حملتهن واللائي كان من الواجب أن يكنّ سنداً لك وسروراً في أواخر عمرك؟ لقد بيعت كل منهن في السنة الأولى من عمرها - ولن ترين أياً منهن أبداً.

ماذا جنيت مقابل عملك في الحقول ماعدا قوتك اليومي والاصطبل؟ وحتى هذه الحياة التعيسة التي نحياها لا يدعها الإنسان تصل إلى نهايتها الطبيعية. إنني - من ناحيتي - لا أتذمر لأنني أحد هؤلاء المحظوظين. إنني في الثانية عشرة من عمري وأنجبت ماينوف عن أربعمائة ولد. هذه هي الحياة الطبيعية للخنازير. ولكنه ليس هناك أي حيوان يستطيع الهروب من سكين النهاية الظالمة. أما أنتم أيها الخنازير المخصصون للذبح فإن كل واحد منكم سيلفظ آخر أنفاسه في المذبح خلال سنة. وما منا إلا واردها - البقر - الخنازير - الدجاج - الأغنام - وكل من الأحصنة والكلاب لا يؤول إلى نهاية أحسن يحسد عليها. وأنت يابوكسر فإن مستر جونز سيبيعك إلى المتعهد في نفس اليوم الذي تفقد فيه عضلاتك القوية قوتها. وإن المتعهد بدوره سيذبحك ويغلي لحمك لتصبح طعاماً لكلاب الصيد. وأما الكلاب - فإنها حين تتقدم في السن وتفقد أنيابها فإن المستر جونز سيربط آجرة حول أعناقها ليغرقها في أقرب بركة.

أليس من الواضح - إذن أيها الرفاق! أن كل شرور حياتنا مصدرها

دكتاتورية الإنسان؟ تخلصوا فقط من الإنسان وعندها تصبح نتائج مجهودنا خاصة بنا. ونستطيع أن نصبح أغنياءً وأحراراً بين عشية وضحاها. ماذا يجب أن نعمل إذن؟ يجب أن نعمل بكل مافي وسعنا لنتخلص من حكم الجنس البشري! هذه هي رسالتي إليكم أيها الرفاق - الثورة! لا أدري متى تحدث هذه الثورة إذ يمكن أن تحدث بعد أسبوع أو بعد مائة عام ولكني أعلم أن العدالة ستأخذ مجراها إن عاجلاً أم آجلاً فافتحوا أعينكم أيها الرفاق على هذا الهدف خلال ماتبقي من حياتكم القصيرة. فوق كل شيء يجب أن تحملوا رسالتي هذه إلى الأجيال القادمة لتثابر على نضالها حتى النصر. وتذكروا أيها الرفاق أنه يجب عليكم ألا تحيدوا عن قراركم هذا. يجب ألا تثنيكم عنه أية حجة. إياكم أن تسمعوا لهم "أن الإنسان والحيوانات لها مصالح مشتركة" وأن رفاهية أحدهما إنما هي رفاهية الآخرين. إنها أكاذيب! إن الإنسان لا يخدم غير مصالحه. ويجب أن تكون الوحدة بين الحيوانات تامة ورفقة السلاح صادقة. كل إنسان عدو، وكل الحيوانات أصدقاء.

وفي هذه اللحظة سمعت الحيوانات ضجة صاخبة إذ بينما كان ميجر يتكلم زحفت أربع فارات كبيرة من أوكارها وجلست في المؤخرة تصغي إليه. وفجأة لمحت الكلاب الفئران ولم ينقذ حياة الفئران سوى سرعة عودتهن إلى الأوكار. ورفع ميجر يديه طلباً للهدوء ثم قال: "أيها الرفاق! يجب أن نقرر فيما إذا كانت الحيوانات البرية كالفئران هي صديقة أم عدوة. وإني الآن أطرح على التصويت مسألة فيما إذا كانت الفئران صديقة أم عدوة". وعند التصويت تبين أن الحاضرين صوتوا بأغلبية ساحقة أن الفئران هم أصدقاء. ولم يكن هنالك سوى أربعة معارضين - الكلاب الثلاثة والقطة التي اكتشف فيما بعد أنها صوتت بجانب الاقتراح وضده. وعندها

تابع ميجر خطبته قائلاً: لم يبق الآن من خطبتي إلا القليل. وإني أريد فقط أن تتذكروا واجبكم العدائي نحو الإنسان وأساليبه - فكل شيء يمشي على اثنتين هو عدو وكل مايمشي على أربعة أو يطير بالأجنحة هو صديق. وتذكروا أيضاً في قتالكم ضد الإنسان أنه يجب ألا نقلده. وحتى حين ستتغلبون عليه لا تتبنوا مساوئه. يجب أن لا يعيش أي حيوان في منزل أو ينام في سرير أو يرتدي ثياباً أو يقرب المشروبات الروحية أو يدخن التبغ أو يقرب المال أو أن يتاجر. إن كل عادات الإنسان شريرة وفوق كل شيء يجب أن لا يحكم أي حيوان بني جنسه حكماً مستبداً. إننا جميعاً اخوة سواء كنا ضعفاء أم أقوياء، أذكياء أم أغبياء. يجب ألا يقتل حيوان حيواناً آخر. كل الحيوانات متساوية.

والآن أيها الرفاق سأخبركم عن حلمي الذي رأيته في الليلة الماضية. إنني لا أستطيع أن أصفه لكم. إنه حلم عن مستقبل الأرض حين سيهزم الإنسان. ولكنه يُذكّرني بشيء هام كنت أنساه دائماً. منذ سنين عديدة وحين كنت خنزيراً صغيراً كانت أمي والخنزيرات الأخريات تغني أغنية قديمة التي عرفوا منها لحنها والثلاث كلمات الأول فقط. تعلمت هذا اللحن في طفولتي، ولكنها غابت عن ذهني منذ ذلك الحين. وقد عادت لي في منامي ليلة أمس. والأهم من ذلك فإن الكلمات أيضاً قد عادت. إن هذه الكلمات ولاشك كانت تغنيها الحيوانات في الماضي البعيد غابت عن الأذهان لعدة أجيال. سأغني لكم هذه الأغنية الآن. إنني عجوز خشن الصوت ولكني عندما أعلمكم اللحن ستغنونها على نحو أحسن من غنائي إنها تسمى (وحوش انجلترا). وبعد أن نظّف ميجر حنجرته بدأ يغني. وكما قال فإن صوته كان خشناً ولكن الغناء كان لابأس به وكان اللحن مهيجاً مثيراً. وأما الكلمات فهي كما يلي:

النشيد
ياحيوانات انجلترا وايرلندا
ياحيوانات جميع الأقطار والأقاليم
انصتوا إلى هذه الأخبار السارّة
عن المستقبل الذهبي
إنّه ليوم آتٍ بعد قليل أو كثير
حين يزاح هذا الدكتاتور الإنساني
وتصبح حقول انجلترا الخصبة
وقفاً على الحيوانات فقط
ستختفي الحلقات من أنوفنا
وستختفي السروج من فوق ظهورنا
وسيأكل الصدأ الألجمة والمهاميز
ولن تسمع أصوات السياط أبداً
ثروات أعظم من أن يحيط بها العقل
قمح وشعير وشوفان وتبن
برسيم، فاصولياء، وشوندر
ستصبح ملكنا أبد الدهر
وستشرق حقول انجلترا وضاءة
وسيصبح الماء أنقى وأصفى
وسيهب النسيم العليل أرق من الآن

في اليوم الذي نتحرر فيه
يجب أن نكافح جميعاً في سبيل ذلك اليوم
حتى إذا متنا قبل أن يشرق صبحه
جميع الأبقار والخيول والوزات والديوك الرومية
يجب أن تناضل في سبيل الحرية
ياحيوانات انجلترا وايرلندا
ياحيوانات جميع الأقطار والأقاليم
انصتوا إلى هذه الأخبار السارّة
عن المستقبل الذهبي.

وقد أثار غناء هذه الأغنية جميع الحيوانات وهيّجها. وقبل أن ينهي ميجر أغنيته بدأت الحيوانات الأخرى بالغناء. ولقد حفظ اللحن جميع الحيوانات حتى الغبية منها، وأما الحيوانات الذكية كالكلاب والخنازير فقد حفظت الأغنية بكاملها في بضعة دقائق. وبعد قليل من المحاولات الأوّلية دوّت المزرعة كلها بالنشيد المذكور. لقد اشتركت جميع الحيوانات المجتمعة بالغناء، ولقد سرّتهم هذه الأغنية جداً حتى أنهم غنوها مرات عديدة ومتتابعة وكان في نيتهم أن يستمروا بالغناء طوال الليل لو لم يقاطعهم نهوض السيد جونز. هذا الدوي أيقظ ـ للأسف ـ السيد جونز الذي قفز من فراشه متصوراً أن ثعلباً كان في صحن الدار، واختطف بندقيته التي كانت لا تفارق إحدى زوايا غرفة النوم وأطلق عياراً نارياً في الظلام. وأخفى الرشاش في جدار الاسطبل وهذا عجّل بانهاء الاجتماع. وهرب كل منهم إلى مكان نومه ونامت المزرعة كلها في لحظات.



الفصل الثاني

الثوره

مات ميجر العجوز بعد ثلاث ليال في هدوء تام بينما كان نائماً. وقد دفنت جثته في أسفل البستان. وكان ذلك في أوائل آذار. وخلال الثلاثة أشهر التالية كان هناك الكثير من النشاط السري. لقد أعطى خطاب ميجر الحيوانات الأكثر ذكاء في المزرعة نظرة جديدة إلى الحياة. لم يكونوا يعلمون موعد الثورة التي تنبأ بها ميجر ولم يكن لديهم مايحمل على الاعتقاد بأن هذا الموعد سيكون خلال سنيّ حياتهم ولكنهم وجدوا بوضوح تام أن من واجبهم العمل للتحضير لها. وكان تعليم وتنظيم الآخرين من نصيب الحيوانات الأكثر ذكاء. وكان من البارزين بين الخنازير خنزيران الأول اسمه سنوبول والثاني اسمه نابليون اللذان كان يعرضهما السيد جونز للبيع. كان نابليون ضخماً وملامحه تميل إلى القسوة وكان الخنزير الوحيد من نوع باركشير في المزرعة. وكان قليل الكلام نسبياً ولكنه مشهور بأنه - دائماً - يحصل على مايريد. ولقد كان سنوبول أكثر حيوية وإبداعاً من نابليون، سريع التكلم، ولكنه لم يتمتع بنفس الشخصية الرزينة. وكان جميع الخنازير الذكور الآخرين في المزرعة من النوع العادي وأشهرهم خنزير صغير سمين يدعى سكويلر ذو وجنات مستديرة وعينين براقتين وخطوات خفيفة وصوت حاد. كان متكلماً بارعاً وكان كلما جادل حول نقطة عويصة استطاع بطريقة عجيبة أن يتحول من طرف إلى آخر ملوّحاً

بذنبه بطريقة مقنعة جداً. كان الآخرون يقولون أن باستطاعة سكويلر أن يقلب الأسود أبيضاً وبالعكس. ولقد صاغ هؤلاء الثلاثة تعاليم ميجر العجوز في نظام فكري تام أعطوه اسم الحيوانية. وأصبحوا يعقدون اجتماعات سرية عدة مرات في الأسبوع بعد ذهاب السيد جونز إلى نومه. وكانت هذه الاجتماعات تعقد في الاصطبل حيث كان الثلاثة يشرحون مبادىء الحيوانية إلى الآخرين. ولقد واجهوا في البدء الكثير من البلادة والجمود. لقد تحدث البعض عن واجب الإخلاص للسيد جونز الذي أشاروا إليه بالسيد أو قالوا "إن السيد جونز يطعمنا فإذا ذهب إلى غير رجعة فسنموت جوعاً" أو ماإلى ذلك، بينما سأل الآخرون "لماذا يجب أن نهتم بما سيحدث للآخرين بعد موتنا؟" أو "إذا كانت هذه الثورة ستنشب على أي حال، فأي فرق هناك بين عملنا أو عدمه؟". وقد وجد الخنازير الثلاثة صعوبات جمة في إقناع الآخرين بأن هذا مخالف لروح الحيوانية. ولقد سألت المهرة البيضاء موللي أبلد الأسئلة إذ كان أول سؤال وجهته لسنوبول "هل سيكون هناك سكر بعد الثورة؟" لقد أجاب سنوبول بالنفي قائلاً بأنه لن تكون هناك الوسائل الكفيلة بانتاج السكر على المزرعة. وبالإضافة إلى ذلك فليس هناك أية حاجة للسكر. سيكون هناك الكثير من الشوفان المطلوب.

"وهل سيسمح لي بوضع الشرائط في شعر رأسي؟" سألت موللي. عندها قال سنوبول: أيتها الرفيقة! تلك الشرائط التي تنذرين نفسك لها إنما هي وصمة العبودية. هل بإمكانك أن تفهمي أن الحرية أثمن من الشرائط؟! ولقد وافقته موللي على ذلك دون أن تكون مقتنعة تماماً.

أما النضال الذي خاضه الخنازير الثلاثة للرد على أكاذيب الحدأة الأليفة موس فقد كان أصعب بكثير من النضال في سبيل التعليم والتنظيم. كان موس حيوان السيد جونز المحبب مما جعله يتجسس وينقل الأخبار،

وبالإضافة إلى ذلك فقد كان موسى متحدثاً بارعاً، فلقد ادّعى بأنه على معرفة بوجود مقاطعة خفية تسمى جبل السكاكر تذهب إليها الحيوانات بعد الموت. إنها تقع في مكان ما في السماء على أبعد من الغيوم بقليل. وقد أضاف موسى إلى ذلك أن كل الأيام عطلة رسمية في جبل السكاكر حيث الفصّة موجودة في كل فصول السنة وحيث تنمو قوالب السكر وفطائر بزر الكتان في السياج. وكانت الحيوانت تكره موسى لأنه كان ينشر الإشاعات بدون أن يقوم بأي عمل، ولكن بعضهم آمنوا بوجود جبال السكاكر ولقد جادل الخنازير الثلاثة كثيراً ليقنعوهم بعدم وجود مكان كهذا.

كان البغلان بوكسر وكلوفر أخلص أتباع الخنازير الثلاثة. لقد وجد هذان البغلان صعوبات كثيرة في التفكير الشخصي وحالما قبلوا الخنازير كمعلمين تقبلوا كل ماسمعوا ونقلوه إلى الحيوانات الأخرى بمناقشات بسيطة. كانا يحضران كل الاجتماعات السرية في الاصطبل وقادة في "إنشاد حيوانات انجلترا" الذي ختم كل الاجتماعات.

لقد تمت الثورة أسرع وأسهل مما توقع الجميع. لقد كان السيد جونز في السنين الماضية مزارعاً كفؤاً رغم كونه سيداً قاسياً ولكن حالته في المدة الأخيرة قد ساءت. لقد ثبطت همته بعد أن خسر محاكمة كلفته الكثير وأصبح مدمناً على شرب المسكرات لدرجة أضرت بصحته. كان يجلس في كرسيه المفضل في المطبخ يقرأ الجرائد ويشرب القدح تلو القدح وفي بعض الأحيان يطعم موسى فتات الخبز المنقوع بالبيرة. كان رجاله كسالى وغشاشين وكانت الأعشاب تملأ الحقول وكانت أبنية المزرعة بحاجة إلى ترميم والأسيجة بحاجة إلى عناية والحيوانات بحاجة إلى تغذية.

لقد حلّ حزيران والحصاد قد آن أوانه.

وفي ليلة السبت التي كانت منتصف الصيف ذهب السيد جونز إلى

قرية دبلليجنتن وشرب في مقصف الأسد الأحمر حتى سكر ولم يعد حتى ظهر يوم الأحد. كان الرجال قد حلبوا البقرات في الصباح الباكر وخرجوا بعدها لصيد الأرانب بدون أن يهتموا بإطعام الحيوانات. وعندما عاد السيد جونز إلى منزله ذهب إلى النوم على كنبة في غرفة الجلوس بعد أن غطى وجهه بجريدة (أخبار العالم)، وحين حلّ المساء كانت الحيوانات لا تزال بدون طعام. وفي النهاية لم تعد الحيوانات تطيق صبراً - وهكذا كسرت إحدى البقرات باب المخزن بقرنيها وبدأت الحيوانات الأخرى تأكل. وفي تلك اللحظة أفاق السيد جونز من نومه. وبعد لحظات كان السيد جونز مع رجاله الأربعة في المخزن يحملون السياط في أيديهم يجلدون في كل الاتجاهات مما استفز شعور الحيوانات الجائعة التي هاجمت بوقت واحد هؤلاء الزبانية على الرغم من عدم وجود أي اتفاق سابق للثورة. فجأة وجد جونز ورجاله أنفسهم بين الحيوانات الناطحة من جهة والرافسة من جهة أخرى ففقدوا سيطرتهم على الموقف إذ أنهم لم يروا أبداً الحيوانات تسلك هذا السبيل من قبل، وأفزعهم أن يروا الحيوانات التي اعتادوا أن يضربوها ويعذبوها أن يروها تثور. وبعد بضع لحظات ولّوا الأدبار ولم تمض خمس دقائق حتى وجد الرجال أنفسهم يهربون من المزرعة والحيوانات تلاحقهم. وعندما أطلت السيدة جونز من نافذة غرفة النوم ورأت مايحدث أسرعت بجمع بعض الحاجيات في حقيبة صغيرة وهربت من المزرعة تاركة موسى يحوم حولها وينعق بصوت مرتفع. وفي هذه الأثناء كانت الحيوانات تطارد السيد جونز ورجاله وتقفل بوابات المزرعة الخمس وراءهم. وهكذا وقبل أن يدركوا ماحدث بالضبط نجحت الثورة: لقد طردوا الإنسان من المزرعة التي أصبحت الآن ملكاً لهم.

وكادوا لا يصدقون حظهم السعيد خلال الدقائق القليلة التي تلت

المعركة. وكان أول أعمالهم أن يجروا حول حدود المزرعة ليتأكدوا من أنه ليس هناك أي إنسان مختبئاً فيها وعدوا إلى أبنية المزرعة ليمحوا آخر آثار حكم جونز البغيض. لقد فتحوا غرفة الأسرجة في آخر الاصطبل وأتلفوا جميع اللجامات، حلقات الأنف، وسلاسل الكلاب والسكاكين الظالمة التي كان يستعملها السيد جونز في خصي الخنازير والخرفان. لقد أحرقوا جميع التجهيزات في ساحة المزرعة. وكذلك أحرقوا الأشرطة التي كانت تزين الحيوانات في الأسواق والتي اعتبرها سنوبول كالملابس - علامات وجود الإنسان في المزرعة.

وعندما سمع بوكسر بذلك أحضر قبعة القش الصغيرة التي كان يلبسها في الصيف لتطرد الذباب بعيداً عن أذنيه ورماها إلى النار مع البقية. وفي مدة وجيزة أحرقت الحيوانات كل شيء يمكن أن يذكرهم بمستر جونز. وعندها قادهم نابليون إلى الاصطبل وقدّم لهم ضعف نصيبهم المعتاد من العلف بالإضافة إلى قطعتين من البسكويت لكل كلب. وبعدها غنّوا "حيوانات انجلترا" من أولها إلى آخرها سبع مرات متتالية وعندها استقر بهم المقام وناموا ليلتهم كما لم يناموا من قبل قط.

ورغم ذلك فإنهم استيقظوا مع الفجر كالمعتاد وعندما تذكروا الحدث العظيم الذي حدث في اليوم السابق تسابقوا جميعاً إلى المراعي. وعلى الطريق إلى المراعي كانت هناك هضبة صغيرة ترى منها جميع أنحاء المزرعة. وتراكض الجميع إلى القمة وأجالوا الطرف فيما حولهم تحت ضوء الصباح الصافي. نعم - إنها ملكهم - كل مااستطاعوا أن يروا كان ملكاً لهم. وفي غمرة تلك الفكرة تراقصوا وقفزوا في الهواء من شدة الهياج. تمرّغوا في ندى الصباح وملأوا أفواههم بعشب الصيف الشهي، وأثاروا بحوافرهم التربة السوداء في الهواء وأشبعوا أنفاسهم من رائحتها العطرة.

لقد طافوا المزرعة بكاملها وتحرّوا بإعجاب يفوق الوصف، الأرض المحروثة وحقول التبن وبساتين الأشجار المثمرة وبركة الماء والغياض. وبدوا كأنهم لم يروا هذه الأشياء من قبل وحتى في تلك اللحظة كادوا لا يصدقون أن كل ذلك كان ملكهم.

وبعدها عادوا جميعاً إلى أبنية المزرعة ووقفوا بصمت تام أمام البوابة. وحتى هذه الأبنية أصبحت ملكهم ولكنهم أحجموا عن الدخول. غير أن سنوبول ونابليون سرعان مافتحوا الباب بأكتافهم ودخلت بقية الحيوانات الواحد بعد الآخر وبحذر شديد خوفاً من إزعاج أي شيء هناك. ومشوا على رؤوس حوافرهم من غرفة إلى غرفة خائفين من التكلم عالياً ومحدقين بشيء من الاضطراب بالرفاهية التي تكاد لا تصدق - الأسِرّة بفرشاتها المحشوة بالريش - المرآة - الكنبة المصنوعة من شعر الخيل - السجادة المستوردة من بروكسل وصورة الملكة فيكتوريا على جدار غرفة الاستقبال. وعندما هبطوا الدرج لاحظوا أن مولي قد اختفت. وعندما عاد الجميع للبحث عنها وجدوا أنها بقيت في أحسن غرفة نوم في المنزل آخذة قطعة شريط زرقاء من طاولة مسز جونز وممسكة إياها فوق كتفها ومبدية إعجابها بنفسها في المرآة بطريقة حمقاء.

وعندها أنّبها الآخرون بشدة وجرّوها إلى الخارج. وحين وجدوا قليلاً من لحم الخنزير في المطبخ أخذوها ليدفنوها ورفسة واحدة من حافر بوكسر كفت لثقب برميل البيرة الذي وجدوه هناك، ولم تلمس الحيوانات شيئاً غير ذلك في الأبنية. ولقد قررت الحيوانات بالإجماع وفي نفس المكان أن يحتفظوا بأبنية المزرعة كمتحف. واتفق الجميع على أنه يجب ألا يعيش أي إنسان هناك. وبعد أن تناولت الحيوانات طعام الإفطار دعاها سنوبول ونابليون للاجتماع ثانية.

قال سنوبول: أيها الرفاق إنها الساعة السادسة والنصف الآن وأمامنا يوم طويل. سنبدأ اليوم بالحصاد. ولكن هناك مسألة أخرى يجب أن نعالجها أولاً.

ولقد كشف الخنازير عن أنهم - خلال الثلاثة أشهر الماضية - علّموا أنفسهم القراءة والكتابة من كتاب تهجية قديم كان أبناء السيدة جونز يقتنوه ووجدوه مرمياً بين الفضلات. وبعدئذ طلب نابليون خمسة علب دهان أبيض وأسود وقاد الجميع إلى البوابة الرئيسية. وعندها أخذ سنوبول فرشاة بين سلاميات يده وأزال عبارة مزرعة الموطن من على الحاجز الأعلى وكتب في مكانه "مزرعة الحيوان" هذا هو اسم المزرعة من الآن فصاعداً. وبعدها عادوا إلى أبنية المزرعة حيث طلب نابليون وسنوبول سلّماً نصبوه تجاه جدران المخزن. وقد شرحوا أنهم - خلال دراستهم في الثلاثة أشهر الماضية - صاغوا مبادىء "الحيوانية" في سبعة وصايا تكتب على الجدار وتكوّن الدستور الدائم لحياة الحيوانات في المزرعة. وبصعوبة خارقة صعد سنوبول السلّم وبدأ عمله يساعده سكويلر الذي كان يقف بضع درجات تحته ويمسك بعلبة الدهان. أما الوصايا السبع فكتبت على الجدار المزفّت بحروف بيضاء ترى من على مسافة ثلاثين ياردة. وهي كما يلي:

الوصايا السبع

١ - كل مايمشي على قدمين فهو عدو

٢ - كل مايمشي على أربعة أو يطير فهو صديق.

٣ - لن يلبس الملابس أي حيوان.

٤ - لن ينام أي حيوان في سرير.

٥ - يمنع الحيوانات من شرب المسكرات.

٦ - لن يقتل الحيوان حيواناً آخر.

٧ - كل الحيوانات متساوون في الحقوق والواجبات.

كتبت هذه الوصايا باتقان ماعدا بعض الأخطاء الإملائية الطفيفة. ثم قرأها سنوبول بصوت عال ليسمع الآخرين الذين هزوا رؤوسهم برضى تام وبدأت الحيوانات الذكية تحفظها عن ظهر قلب.

قال سنوبول بعد أن رمى الفرشاة: أيها الرفاق هيا إلى الحصاد ودعونا نتم الحصاد بوقت أقصر مما اعتاده جونز ورجاله. غير أن بقرات ثلاث بدت قلقة في هذه الأثناء وبدأت تخور بصوت مرتفع، إذ أن البقرات لم تحلب لمدة ٢٤ ساعة وكادت درّاتها تنفجر. وبعد القليل من التفكير أحضر الخنازير السطول وحلبوا البقرات بنجاح لأن كوارعهم كانت سهلة التكيّف مع هذا العمل. وسرعان ماملأوا السطول الخمسة بالحليب الدسم الذي نظرت إليه جميع الحيوانات باهتمام بالغ. وعندها تساءل أحدهم: ماذا سيحدث للحليب؟ فأجابت إحدى الدجاجات لقد اعتاد السيد جونز أن يخلط بعضه في طعامنا. عندها صاح نابليون: لا تشغلوا أنفسكم بالحليب فسوف نعتني به. إن الحصاد أكثر أهمية الآن. الرفيق سنوبول سيذهب في المقدمة وسأتبعكم بعد بضع دقائق. إلى الأمام أيها الرفاق فالحصاد بانتظاركم.

وهكذا تزاحم الجميع إلى الحقل وعندما عادوا في المساء لاحظوا أن الحليب قد اختفى.

الفصل الثالث

بداية الانحراف

لكم تعبوا وتصبّب عرقهم لينهوا الحصاد! ولكن جهودهم كوفئت إذ أن الحصاد كان أنجح مما توقعوا. كان العمل مضنياً في بعض الأحيان إذ أن الأدوات مصممة عادة ليستعملها الإنسان وكانت السوأة أن الحيوانات لم تستطع استخدام أي آلة تحتم الوقوف على القائمتين الخلفيتين ولكن الخنازير كانوا أذكياء جداً حتى أنهم كانوا يفكرون بحل لكل مسألة وفي الحقيقة تفهموا طبيعة الحصد والجرف أكثر من جونز ورجاله. ولم تقم الخنازير بأي عمل ولكنهم أداروا وساسوا الآخرين. وكان طبيعياً أن يستلموا القيادة نظراً لمعرفتهم العليا.

فكلوفر وبوكسر أصبحوا يسرجون أنفسهم للحصادة أو الجرّافة ويعملون في الحقل بينما أحد الخنازير يتبعهم ويصيح بهم: "أسرعوا أيها الرفاق - عودوا أيها الرفاق" حسب الظروف. وكل حيوان عمل في حصاد العلف وتقليبه وجمعه. حتى الدجاجات والبطات اشتغلت تحت الشمس حاملة حزماً صغيرة من القش في مناقيرها. وهكذا أتموا الحصاد في مدة تقل يومين عن المدة التي كان يقضيها جونز ورجاله في إنجازه.

فضلاً عن أن الكمية كانت أكبر من كل سابقاتها. ولم يكن هناك أي إتلاف إذ أن الدجاجات والبطات جمعت كل سويقة في الحقل ولم يسرق

أي حيوان في المزرعة حتى ولا لقمة واحدة.

وخلال الصيف كله سار العمل في المزرعة بانتظام وكانت الحيوانات سعيدة لدرجة لم يتصوروا من قبل أنها ممكنة إذ أن كل لقمة كانت سعادة إيجابية غنية عندما كان الطعام في الحقيقة ملكهم، أنتجوه بأنفسهم لأنفسهم وليس موزعاً عليهم من سيدهم الحسود. وبعد ذهاب الإنسان الطفيلي أصاب كل منهم نصيباً أكبر من الغذاء أوقاتاً أطول للراحة رغم عدم خبرة الحيوانات في الإدارة. لقد واجهوا صعوبات كثيرة - وعلى سبيل المثال - في الخريف عندما حصدوا القمح توجب عليهم أن يدرسوه بالمشي عليه وأن يذرّوه بنفخ التبن بعيداً بأنفاسهم لأنه لم يكن في المزرعة درّاسة. ولكن ذكاء الخنازير وقوة بوكسر العضلية الجبارة أخرجتهم من المأزق. كان بوكسر محط إعجاب الجميع، لقد كان عاملاً نشيطاً حتى في عهد جونز ولكنه بدا الآن كثلاثة أحصنة حتى أنه كانت هناك أوقات كثيرة حيث بدا أن جميع الأعمال في المزرعة ملقاة على عاتقه. كان يجر ويدفع من الصباح حتى المساء ودائماً حيث وجدت أصعب الأعمال. لقد اتفق مع أحد الديكة الصغار ليوقظه قبل نصف ساعة من الآخرين حيث يقوم ببعض الأعمال الاختيارية حيث بدت الحاجة أعظم وذلك قبل بدء العمل النظامي. وكان جوابه على كل صعوبة وكل عقبة - "سأعمل أكثر" الجملة التي اتخذ منها شعاراً له.

كل حيوان في المزرعة عمل حسب طاقته. فعلى سبيل المثال: وفّرت البطات والدجاجات خمسة أكياس من القمح في موسم الحصاد بجمع حبات القمح المبعثرة. لم يسرق ولم يشتك أي حيوان. لقد اختفت تقريباً المشاجرات والغيرة التي كانت الميزة العادية بين الحيوانات. لم يتوان أحد تقريباً. في الحقيقة لم تكن موللي تحسن النهوض الباكر في الصباح وكانت

لها طريقة خاصة في ترك العمل قبل الآخرين متذرعة بأن هناك حجرة في حافرها. وكان سلوك الهرة شاذاً نوعاً ما - لقد لاحظ الآخرون بعد حين أنه كلما كان هناك أي عمل اختفت القطة لعدة ساعات وتظهر ثانية وقت الطعام أو في المساء بعد انتهاء العمل اليومي وكأن شيئاً لم يحدث. ولكنها كانت تختلق أوهى الأعذار وتموء بدلال حتى تجعل من الصعب الشكّ بصدق نيتها. والحمار بينجامين العجوز بدا على حاله منذ الثورة إذ قام بعمله بنفس الطريقة البطيئة والعنيدة لا يتكاسل أبداً ولا يتبرع بالقيام بأي عمل إضافي وبدون الإدلاء بأي رأي حول الثورة ونتائجها. وكلما سئل فيما إذا كان أسعد من ذي قبل يقول: "الحمر تعمّر كثيراً. لا أحد منكم رأى حماراً ميتاً". ووجب على الآخرين أن يقنعوا بهذه الإجابة الغامضة.

لم يكن هناك أي عمل يوم الأحد، وكان الإفطار بعد الموعد الأسبوعي بساعة متبوعاً باحتفال يراعى كل أسبوع بدون انقطاع - في البدء يرفع العلم إذ وجد سنوبول قطعة قماش قديمة خضراء في غرفة الأمتعة - كانت السيدة جونز تستعمله كغطاء طاولة - ورسم فوقه حافراً وقرناً باللون الأبيض وهذا العلم كان يرفع في الحديقة صباح كل أحد. وقد فسّر سنوبول للآخرين بأن العلم كان أخضراً ليرمز إلى حقول انجلترا الخضراء بينما يرمز الحافر والقرن إلى جمهورية الحيوان المستقبلة التي ستنشأ حينما يهزم الجنس البشري نهائياً. وبعد رفع العلم تراكضت الحيوانات إلى المخزن لاجتماع عام. هنا كان عمل الأسبوع يقرر وكانت الاقتراحات تقدم وتناقش. وكانت الخنازير دائماً هي التي تقدم الاقتراحات بينما عرفت الحيوانات الأخرى كيف تقترح بدون أن يستطيعوا التفكير في أي اقتراح يتقدمون به. كان سنوبول ونابليون أكثر الحيوانات نشاطاً في المناقشات ولوحظ أن الاثنين لم يكونا على اتفاق، فمهما كان الاقتراح الذي يتقدم به أحدهم كان الآخر

يعارضه. وحتى الاقتراح ـ الذي لا يمكن لأحد أن يعارضه ـ حول تعيين مرعى صغير خلف البستان للحيوانات التي تجاوزت سن العمل كان هناك نقاش عنيف حول العمر الصحيح لإحالة كل نوع من الحيوانات على التقاعد. وختم الاجتماع دوماً بإنشاد "ياحيوانات انجلترا" بينما ترك بعد الظهر للتسلية.

لقد عين الخنازير غرفة الأمتعة كمركز رئسي لهم حيث درسوا في المساء الحدادة والنجارة والفنون الضرورية الأخرى من الكتب التي أخرجت من البيت. وبالإضافة إلى ذلك شغل سنوبول نفسه في تنظيم الحيوانات في لجان العمل الذي كان لا يمل منه. لقد ألف لجنة انتاج البيض للدجاج وعصبة حماية الأبقار من الذباب ولجنة تعليم الرفاق المتوحشة (حيث كان الغرض منها تأهيل الفئران والأرانب) وحركة الصوف الأكثر بياضاً للغنم ولجان أخرى متنوعة بالإضافة إلى إنشاء الصفوف لتعليم القراءة والكتابة. وعلى العموم أخفقت هذه المشاريع. فعلى سبيل المثال، أخفقت المحاولات لتأهيل الحيوانات المتوحشة في الحال تقريباً إذ أنهم كانوا يسلكون كالسابق وكلما عاملهم الآخرون بسخاء انتهزوا تلك الفرص دون الإفادة منها. انضمت القطة إلى لجنة التعليم وأبدت نشاطاً كبيراً لأيام قليلة. وقد رآها أحدهم ذات يوم تجلس على السطح وتحادث بعض العصافير التي كانت أبعد قليلاً من تناول اليد. كانت تقول لهم أن جميع الحيوانات أصبحوا رفاقاً وأن أي عصفور يستطيع أن يأتي ويقف فوق مخلبها غير أن العصافير بقيت بعيدة. بيد أن صفوف القراءة والكتابة لاقت كل نجاح إذ لم يحل الخريف حتى كانت جميع حيوانات المزرعة تقريباً متعلمة نوعاً ما بينما كانت الخنازير تجيد القراءة والكتابة. لقد تعلمت الكلاب القراءة ولكنهم لم يكن يهمهم سوى قراءة الوصايا السبع. أما العنزة موريل فقد كانت تقرأ

أحسن من الكلاب وكانت في المساء تقرأ للآخرين من قصاصات الجرائد التي وجدوها مرمية هنا وهناك. وكان بينجامين يقرأ كأي خنزير ولكنه لم يتمرن أبداً لأنه لم يجد على حد قوله شيئاً يستحق القراءة. أما كلوفر فقد تعلم كل الحروف الهجائية ولكنه لم يستطع قراءة الكلمات بينما لم يستطع بوكسر حفظ أي حرف بعد الدال. وكان يكتب أ، ب، ت... د في الأرض بحافره الكبير ويقف يتأمل الحروف وأذناه مرخيتان إلى الوراء وهازاً شعره بعض الأحيان ليتذكر الحرف التالي بدون أي نتيجة. وفي عدة مناسبات تعلم قراءة ي، ف، ج، هـ، ولكنه حين تعلمها كان دائماً يكتشف أنه قد نسي الزمرة الأولى، وفي النهاية قرر أن يقنع بالأحرف الأربعة الأولى واعتاد أن يكتبها مرة أو مرتين ليبقي عليها.

ورفضت موللي أن تتعلم أي شيء عدا الحروف التي تكون اسمها. كانت تصنع هذه الحروف من الأغصان الصغيرة وتزينها بالأزهار وتمشي حولها معجبة بها.

ولم يتعلم أي حيوان آخر أكثر من الحرف الأول، ولم تستطع الحيوانات الأقل ذكاء تعلم حتى الوصايا السبع نفسها. وبعد تفكير طويل صرح سنوبول أن الوصايا السبع يمكن أن تصاغ في جملة واحدة: "أربع أرجل جيد، اثنتان رديء" وهذا على حد قوله هو أهم مبدأ في الحيوانية. ومن يدرك ذلك تماماً ينجو من نفوذ الإنسان. وعندئذ احتجت الطيور على هذا معتقدة بأنها هي الأخرى ذات رجلتين ولكن سنوبول أقنعها بعكس ذلك. إذ قال: "جناح الطيور، أيها الرفاق، هو عضو حركة وليس عضو مهارة. وعلى هذا يجب أن يعتبر ساقاً. إن العلامة المميزة للإنسان هي اليد - الأداة التي تمكنه من القيام بكل أنواع الأذى".

لم تفهم الطيور كلمات سنوبول الطويلة ولكنهم قبلوا تفسيره وجميع

الحيوانات الأقل ذكاء بدأت بحفظ هذه الجملة عن ظهر قلب وكتبت "أربع أرجل جيد، اثنتان رديء" في نهاية جدار المخزن فوق الوصايا السبع وبأحرف أكبر. وعندما تعلموا هذه الجملة أخذ الغنم يحبها أكثر فأكثر وأصبحوا يرددونها في الحقول من حين لآخر ولمدة ساعات في كل مرة بدون كلل.

لم يعبأ نابليون بلجان سنوبول إذ قال أن تعليم الشيء، هو أكثر أهمية من القيام بأية خدمة تجاه الكبار. وحدث أن ولدت جه سي وبلوبل بعد موسم الحصاد بقليل وأنجبتا تسع جراء قوية وبعد فطامهم أبعدهم نابليون عن أمهاتهم قائلاً بأنه يعتبر نفسه مسؤولاً عن تعليمهم ووضعهم في علّية يوصل إليها بسلّم من غرفة الأمتعة واحتفظ بهم هناك في عزلة عن الآخرين الذين سرعان مانسوا كل شيء عنهم. ولقد انجلى سر اختفاء الحليب بسرعة لقد كان يخلط بعلف الخنازير.

والآن بدأ التفاح ينضج وبدأت السواقط تتبعثر في حشيش البستان. وظنت الحيوانات أن التفاح سيقسم بينهم بالتساوي ولكن الأمر صدر ذات يوم أن السواقط يجب أن تجمع وتحضر إلى غرفة الأمتعة لتستعملها الخنازير. وتهامست بعض الحيوانات حول هذا الأمر بدون فائدة. وجميع الخنازير كانت متفقة حول هذا الموضوع حتى سنوبول ونابليون وقد أرسل سكويلر ليقوم بالتأويلات اللازمة للآخرين فقال: "أيها الرفاق، أرجو ألا تتصوروا أننا نحن الخنازير نقوم بذلك عن أنانية وامتياز. والكثير منا في الحقيقة يبغض الحليب والتفاح وأنا شخصياً أبغضهم أيضاً. وغرضنا من أكلها هو الحفاظ على صحتنا. الحليب والتفاح يحتويان على مواد ضرورية لصحة الخنازير وهذا مابرهن عليه العلم، أيها الرفاق!

نحن الخنازير نعمل بعقولنا إذ أن كل إدارة وتنظيم هذه المزرعة يتوقف

علينا وإننا نسهر على رفاهكم ليل نهار ولأجلكم فقط نأكل التفاح ونشرب الحليب. هل تدرون ماسيحدث إذا أخفقنا - نحن الخنازير - في تأدية واجباتنا؟ سيعود جونز ثانية! نعم، جونز سيعود ثانية". ثم صرخ سكويلر متوسلاً وقافزاً من جانب إلى آخر وملوّحاً بذنبه: "حقاً أيها الرفاقّ! ليس بينكم أحد يرغب في رؤية جونز هنا ثانية". والشيء الوحيد الذي كانت الحيوانات متأكدة منه تماماً هو أنهم لم يرغبوا في عودة جونز. وعندما صيغت لهم بهذا الشكل لم يقولوا أي شيء. وأهمية حفظ صحة الخنازير كانت واضحة لكل فرد وهكذا اتفق الجميع بدون أي جدال على أن الحليب وسواقط التفاح والتفاح الناضج أيضاً يجب أن توقف على الخنازير.

الفصل الرابع

الهجوم المضاد

وحوالي نهاية الصيف انتشر ماحدث في مزرعة الحيوان في طول المقاطعة وعرضها. ففي كل يوم أرسل سنوبول ونابليون رفوف الحمام ليندسوا بين الحيوانات في المزارع الأخرى ويخبروهم بقصة الثورة ويعلموهم لحن "ياحيوانات انجلترا". ولقد قضى مستر جونز معظم هذا الوقت في حانة الأسد الأحمر في ويلينغتون شاكياً على مسمع الجميع الظلم المجحف الذي لحق به وإخراجه من مزرعته من قبل عصبة من الحيوانات العديمة النضج. وبينما عطف الآخرون على قضيته لكنهم لم يقدموا أية مساعدة في البدء وكانوا في الخفاء يفكرون فيما إذا كان بإمكانهم أن يستفيدوا من مصيبة مستر جونز. ولحسن الحظ كان أصحاب المزارع المحيطة على غير وفاق فالمزرعة التي تدعى فوكسوود كانت واسعة، مهملة، ومن طراز قديم، تقتلها الشجيرات وذات مراع منهكة وسياجاتها بحالة يرثى لها. كان صاحبها مستر بيلكينجتون مزارعاً مستهيناً يقضي معظم أوقاته في الصيد.

أما المزرعة الأخرى التي تدعى بينتشفيلد فهي أصغر وأحسن ويملكها مستر فريدريك الذي كان رجلاً خشناً مساوماً وداهية يورط نفسه دائماً في دعاوى قضائية. وكان الاثنان يبغضان بعضهما بغضاً شديداً لدرجة جعلت من الصعب عليهم أن يتفقوا حتى لحماية مصالحهم وعلى الرغم من كل

هذا فقد شعر الاثنان بهلع شديد حين سمعا بثورة مزرعة الحيوان وحاولا ألا يدعا حيواناتهما تعرف الشيء الكثير عن الثورة. في البدء كانوا يضحكون ويسخرون من فكرة مزرعة تدار من قبل الحيوانات وسينتهي الأمر خلال أسبوعين على حد قولهم. لقد أذاعا أن الحيوانات في مزرعة الحانوت (كما أصرّا على تسميتها ولم يستطيعا أن يتحملا تسميتها بمزرعة الحيوان) كانت في شجار دائم وتموت جوعاً. وبعد أن مضى وقت طويل ولم تمت الحيوانات من الجوع غيّر ديلينجتون وفريدريك أسلوبهما وبدءا يتحدثان حول الشرور التي تزدهر في مزرعة الحيوان. لقد أذاعا أن الحيوانات هناك أكلت بعضها وعذّب أحدها الآخر بالحديد المتوهج وعملوا بشيوعية الإناث. هذه هي نتائج الثورة ضد قوانين الطبيعة. ولكن هذه الأشاعات لم يصدقها الجميع، إذ أن الشائعات تحدثت عن المزرعة المذهلة حيث الحيوانات تحكم نفسها بنفسها وحيث لا إنسان يتحكم بمصائرها. وخلال تلك السنة اعترت الريف موجة من التمرد. إذ أن الثيران كانت دائماً سهلة الانقياد بدأت تتحول إلى حيوانات شرسة. وبدأت الأغنام تكسر الأسيجة وتلتهم البرسيم وبدأت الأبقار ترفس السطول. وبدأت جياد الصيد ترفض القفز فوق الحواجز وترمي راكبيها إلى الأرض. وفوق كل هذا أصبح اللحن بل حتى وكلمات "ياحيوانات انجلترا" معروفة في كل مكان وانتشر بسرعة البرق ولم يستطع الناس كظم غيظهم عند سماع ذلك النشيد رغم أنهم تظاهروا بالسخرية منه وقالوا أنهم لا يستطيعون أن يفهموا كيف تغني الحيوانات كلمات حقيرة كهذه وجلدوا كل حيوان سُمع يغنيها ومع ذلك فالنشيد لم يكبت إذ غنته الشحارير في الأسيجة وسجعته الحمامات على أشجار الدردار واختلطت مع ضربات مطرقة الحداد وجرس الكنيسة وكلما سمعها الناس ارتجفوا خوفاً من مصيرهم المحتوم.

وفي شهر تشرين الأول وبعد حصاد القمح ودرس بعضه حطّ سرب من الحمام في بهو المزرعة بانفعال عظيم. إن جونز ورجاله وست رجال من فوكسوود وبينتشفيلد دخلوا جميعاً البوابة الرئيسية وتوجهوا نحو أبنية المزرعة سالكين طريق العربات. كانوا يحملون العصي ماعدا مستر جونز الذي قاد الجماعة وأشهر بندقيته. إنهم بكل وضوح أتوا لاسترداد المزرعة. لقد كان ذلك متوقعاً منذ زمن طويل وبناء على ذلك كانت كل الاستعدادات جاهزة. لقد تولى سنوبول قيادة العمليات الدفاعية بعد أن درس كتاباً حول غزوات يوليوس قيصر والذي وجده في بيت المزرعة. كان يعطي أوامره بسرعة وبعد حوالي دقيقتين احتلت كل الحيوانات مراكزها. وعندما اقترب الناس من أبنية المزرعة بدأ سنوبول هجومه الأول ـ لقد حامت الحمامات فوق رؤوس المهاجمين وذرقت فوقهم من الجو وبينما كان الناس يعالجون ذلك أسرعت الاوزات من خلف السياج حيث كانت تختبىء ونقرت سيقانهم بقوة. ولكن ذلك كان مناوشات خفيفة لتخلق قليلاً من الفوضى واستطاع الرجال بسهولة أن يبعدوا الأوزات عن سيقانهم بالعصي. وعندها بدأ سنوبول هجومه الثاني ـ ميو رييل، بينجامين وكل الأغنام وعلى رأسهم جميعاً سنوبول تقدموا ووخزوا ونطحوا الرجال من كل جانب بينما التفت بينجامين وأمطرهم بوابل من حوافره الصغيرة. ولكن الرجال استطاعوا أن يردوهم بالعصي وأحذيتهم الغليظة وبصيحة من سنوبول التي كانت إشارة التراجع ـ هربت الحيوانات إلى بهو البناء مما جعل الرجال يرفعون صيحة النصر. لقد تصوروا أنهم رأوا أعداءهم يهربون ولحقوا بهم بفوضى مريبة وهذا ماكان سنوبول يبغي إذ حالما أصبحوا في بهو البناء ظهرت الخيل والأبقار والخنازير من الخلف وأعطى سنوبول إشارة الهجوم. وعندها اتجه هو نحو جونز الذي رفع بندقيته وأطلق النار عندما رآه. وقد

صنعت كريات الطلقة عدة خدوش دموية في ظهر سنوبول وقتلت نعجة. وبدون أي توقف رمى سنوبول بكل ثقله على ساقيّ جونز الذي ارتمى على المزبلة بينما طارت بندقيته من يديه. غير أن المنظر المرعب كان عندما وقف بوكسر على ساقيه الخلفيتين وضرب بساقيه الأماميتين كما يفعل الحصان. وقد أصابت ضربته الأولى أحد غلمان فوكسوود على رأسه وأردته في الطين قتيلاً. وعندما شاهد الرجال هذا المنظر رمى بعضهم العصي وحاولوا الهرب غير أن الرعب تملكهم جميعاً وفي لحظات كانت الحيوانات تطاردهم حول الساحة. لقد أدمتهم ورفستهم وعضتهم وداستهم ولم يبق هناك حيوان في المزرعة لم يثأر لنفسه كل حسب طريقته. وحتى القطة قفزت من السطح على كتفي أحد الرعاة وأنشبت مخالبها في عنقه مما جعله يصرخ من الخوف. وحالما وجد الرجال فتحة في صف المهاجمين مرقوا كالسهم هاربين إلى الطريق العام وهكذا وفي خلال خمسة دقائق انتهى الهجوم بانسحاب مشين وعاد الرجال من حيث أتوا يتبعهم سرب من الأوز يئز وينقر أرجلهم. وهكذا فر جميع الرجال عدا واحد كان يتمرغ في الوحل وبوكسر يصوب حافريه نحوه ويحاول قلبه ولكن الولد لم يتزحزح.

قال بوكسر بأسف: "إنه ميت. لم أقصد ذلك. لقد نسيت أني أرتدي حدوات حديدية. من سيصدّق أنني لم ألبسها لهذا الغرض؟" وهذا جعل سنوبول يصرخ والدم يتقاطر من جراحه: "أيها الرفيق، إني لا أجد لزوماً لهذه العاطفية. الحرب حرب. وأحسن إنسان هو الميت فقط". ورد بوكسر قائلاً والدمع يملأ عينيه: "أنا لا أريد أن أقتل حتى ولو كان المقتول إنساناً". وعندها هتف أحدهم: "أين موللي؟" وفي الحقيقة لم تكن هناك ولبرهة وجيزة اعترى الجميع قلق شديد خشية أن يكون أحد الرجال قد آذاها أو حتى أخذها معه. وفي النهاية وجدوها مختبئة في إصطبلها ومخفية رأسها

بين التبن في المعلف. لقد هربت حالما سمعت صوت البندقية وعندما عاد الجميع من التفتيش عنها وجدوا الفتى الذي كان مذهولاً فقط وجدوه قد هرب.

والآن اجتمعت الحيوانات بكثير من الهياج كل يعدد مغامراته في المعركة بصوت مرتفع ولقد عقدت الاحتفالات بالنصر حالاً إذ ارتفع العلم وأنشد الجميع "ياحيوانات انجلترا" مرات عديدة وتأبنت النعجة الشهيدة بكل أبهة وزرعت شجرة آس على قبرها. ثم ارتجل سنوبول كلمة قصيرة بجانب القبر مؤكداً ضرورة الموت في سبيل مزرعة الحيوان إذا اقتضى الأمر. وقد قررت الحيوانات بالاجماع إحداث وسام حربي يسمى "البطل الحيواني من الدرجة الأولى" الذي أهدي إلى سنوبول وبوكسر. ويتألف الوسام من ميدالية نحاسية (وكانت في الحقيقة قطع نحاسية للخيل وجدتها الحيوانات في غرفة الأمتعة) لتلبس في أيام الآحاد وأيام العطل. وأحدث أيضاً وسام "البطل الحيواني من الدرجة الثانية" الذي أهدي إلى النعجة بعد موتها. وحدث نقاش حاد حول تسمية المعركة، وفي النهاية تقرر أن تسمى معركة زريبة البقر نظراً لأنه كان المكان الذي كمنت فيه الحيوانات. لقد وجدوا بندقية جونز في الطين وكان معروفاً أن هناك ذخيرة كافية في بيت المزرعة وقرروا أن يضعوها حول قاعدة العلم كقطعة مدفعية ويطلقوها مرتين في السنة ـ الأولى في الثاني عشر من تشرين الأول أي في ذكرى معركة زريبة البقر، والثانية في يوم نصف الصيف أي في ذكرى الثورة.



الفصل الخامس

التكتيك؟

أصبحت موللي أكثر إزعاجاً كلما تقدم الشتاء إذ تأخرت عن العمل كل صباح واعتذرت بقولها أنها استغرقت في النوم واشتكت من آلام غامضة رغم أن قابليتها كانت ممتازة. كانت تهرول إلى بركة مياه الشرب متخذة كل ذريعة وكانت تقف هناك تحملق في خيالها في الماء ولكن كانت هناك إشاعات أكثر خطورة وبينما كانت موللي تتمشى بغبطة في الساحة تداعب ذيلها وتقضم حزمة من العشب أتى كلوفر إلى جانبها وقال: "إن لدي شيئاً خطراً أود أن أقوله لك. رأيتك هذا الصباح تنظرين من فوق السياج الذي يفصل مزرعة الحيوان عن مزرعة فوكسوود وكان أحد رجال بيلكنتون يقف في الجانب المقابل ورغم أني كنت بعيداً فإني متأكد من صحة مارأيت. إنه كان يتكلم معك ورأيتك تسمحين له يربت أنفك ماذا يعني ذلك ياموللي؟".

موللي أجابت وهي تقفز وتضرب الأرض بحافرها: "إنه لم يفعل ذلك! إني لم أسمح له بذلك! ليس ذلك بصحيح!".

"انظري إلي ياموللي. اقسمي لي بشرفك أن الرجل لم يكن يربت أنفك".

وكررت موللي: "ليس ماتقول بصحيح". ولكنها لم تستطع أن تنظر

إلى وجه كلوفر وبعد لحظات بدأت تهرول إلى الحقل. وعندها خطرت إلى كلوفر خاطرة وهكذا وبدون أن يقول أي شيء للآخرين ذهب إلى اصطبل موللي وقلبت الحشيش بحافرها حيث وجدت بضع قوالب من السكر والعديد من الأشرطة المختلفة الألوان. ولقد اختفت موللي بعد ثلاثة أيام من تلك الحادثة ولم يعرف شيء عن مكانها لمدة بضعة أسابيع. ولكن الحمامات أعلنت أنها رأتها في الجانب الآخر من ويلينجتون تجر عربة مدهونة بالأحمر والأسود وتقف أمام أحد المقاصف ورجل سمين أحمر الوجه يرتدي سروالاً مخططاً وواقيات ارجل ويبدو كأنه صاحب المقصف كان يمسح أنفها ويلقمها قوالب سكر. كانت ترتدي ثياباً جميلة جديدة وشعرها مربوط بشريطة حمراء. وقد بدت مسرورة على حد قول الحمامات. ولم يذكر أحد الحيوانات اسم موللي بعد ذلك.

كان شهر كانون الثاني قاسياً جداً إذ كانت الأرض صلبة كالحديد ولم تستطع الحيوانات القيام بأي عمل في الحقول. لقد عقدت الاجتماعات الكثيرة في المستودع الكبير وكانت الخنازير مشغولة في تخطيط العمل للفصل القادم. لقد أصبح من المتعارف عليه أن الخنازير، التي كانت أذكى من الحيوانات الأخرى، يجب أن تبت في جميع الأمور المتعلقة بسياسة المزرعة رغم أن تلك القرارات كان لابد من التصديق عليها بأغلبية الأصوات.

ولم يكن هناك أي سبب يحمل على الاعتقاد بأن تلك الترتيبات غير صالحة لولا الخلاف الذي نشب بين سنوبول ونابليون. لقد كان هذان يختلفان حول كل نقطة يمكن الاختلاف عليها. فكان إذا اقترح أحدهم بذر مساحة أكبر بالشعير طلب الآخر بذر المساحة الأكبر بالشوفان. وكان إذا قال أحدهم أن حقل كذا يصلح لزراعة الملفوف قال الأخير أنه لا يصلح

لشيء عدا الشمندر. وكان لكل أتباعه مما سبب بعض الجدال العنيف. وفي الاجتماعات العامة كان سنوبول كثيراً مايفوز بالأغلبية لخطبه اللامعة ولكن نابليون كان أحسن في الدعاية لنفسه في الفترة بين الاجتماعات وبالأخص بين الأغنام. ومؤخراً أصبحت الأغنام تنشد:

كل مايمشي على أربعة فهو حسن وعلى اثنتين فهو سيء

في اللحظات الحاسمة من خطابات سنوبول.

لقد درس سنوبول بعض أعداد مجلة "المزارعين ومربي الحيوانات" التي وجدها في بيت المزرعة وأصبح لديه الكثير من مخططات التجديد والتحسين. كان يتكلم بلغة العارف حول تجفيف الحقول وتخزين العلف وفكر في طريقة تجعل الحيوانات ترمي روثها مباشرة في الحقول وفي بقاع مختلفة كل يوم حتى يقتصد من أعمال النقل. ولم يتقدم نابليون بأي مشروعات خاصة ولكنه قال أن مشاريع سنوبول عديمة الفائدة وبدا كأنه يقتل الوقت. ولكن جميع الاختلافات كانت تافهة إذا قورنت بذلك الخلاف المرير الذي نشب حول طاحونة الهواء: ففي وسط المرعى الطويل قرب أبنية المزرعة كانت ترتفع هضبة صغيرة وكانت أعلى نقطة في المزرعة. وبعد الدراسة الدقيقة صرح سنوبول أن ذلك المكان هو أنسب موقع لبناء طاحونة هواء لتدير مولداً وتمد المزرعة بالقوة الكهربائية. وهذه الطاقة ستضيء الاصطبلات وتدفئها في الشتاء وسيدير منشاراً دائرياً ومذراة ومخرطة شمندر وحلابة كهربائية. ولم تسمع الحيوانات بذلك من قبل إذ أن المزرعة كانت من الطراز القديم وأنصتوا بدهشة لسنوبول يصور لهم الآلات الخيالية التي ستقوم بالأعمال في المزرعة بينما ترعى الحيوانات في الحقول أو تفتح عقولها بالقراءة والحديث.

وخلال أسابيع قليلة أتم سنوبول مخططات لبناء طاحونة الهواء. لقد

حصل على التفاصيل الفنية من ثلاثة كتب وجدها في حوزة المستر جونز وهي: ١٠٠١ عمل مفيد في البيت

كل إنسان معمار

الكهرباء للمبتدئين

ولقد استعمل سنوبول للدراسة كوخاً كان يستعمل كغرفة تفريخ وكان ذا أرض خشبية ملساء تصلح للرسم. وكان يقضي هناك ساعات كثيرة كل مرة. لقد اعتاد أن يحتفظ بالكتب مفتوحة بوضع حجر فوقها وأن يمسك بقطعة حوّار بين أظلاف كارعه يرسم الخط تلو الخط ويصيح صيحات متقطعة من شدة الانفعال. وتدريجياً نمت التصاميم إلى مجموعة معقدة من المحاور والدواليب المسننة التي تغطي أكثر من نصف أرض الكوخ والتي وجدتها بقية الحيوانات غير مفهومة إطلاقاً ولكنها مع ذلك مؤثرة. ولقد أتت جميع الحيوانات لتشاهد تصميم سنوبول مرة واحدة في اليوم على الأقل. وحتى الدجاجات والبطات أتت لتشاهده وحاولت بكل انتباه أن لا تدوس على العلامات الحوّارية. ولكن نابليون لم يقترب إذ أعلن أنه ضد مشروع طاحونة الهواء من البداية. ولكنه وصل ذات يوم وفجأة ليتفحص التصاميم حيث تجوّل بتثاقل في الكوخ وفحص كل تفصيلات التصاميم بدقة تامة وبعدها وقف برهة وجيزة يفكر ويرمقها بطرف عينه. ثم رفع رجله وبوّل على التصاميم وخرج بدون أن ينبث ببنت شفة.

ولقد انشقت المزرعة على نفسها حول موضوع طاحونة الهواء. فسنوبول نفسه لم ينكر أن بناء الطاحونة سيكون أمراً عسيراً - فالأحجار يجب أن تقلع وتنقل وتبنى في جدران وبعدها يجب الحصول على المولدات والأسلاك. واعترف سنوبول أنه لا يعلم كيف سيحصل على تلك المعدات. ولكنه أصر على أنه يمكن إنجاز المشروع خلال سنة وأضاف أنه

بعد إنجاز المشروع سيكون الاقتصاد في العمل عظيماً جداً حتى أن الحيوانات ستعمل ثلاثة أيام في الأسبوع فقط. ولكن نابليون صرح أن الحاجة الملحة هي زيادة انتاج المواد الغذائية وأنهم إذا أضاعوا الوقت في بناء الطاحونة فسيموتون جوعاً. وهكذا انقسمت الحيوانات في المزرعة إلى حزبين وتحت الشعارين التاليين:

١) انتخب سنوبول وثلاثة ايام عمل اسبوعياً.

٢) انتخب نابليون والادارة التامة.

ولقد كان بينجامين الحيوان الوحيد الذي لم ينضم إلى أي المعسكرين. لقد رفض أن يصدق أن الطعام سيكون أوفر أو أن طاحونة الهواء ستوفر الوقت إذ قال سواء بنيت الطاحونة أم لم تبن ستستمر الحياة كما كانت دائماً - أي برداءة.

بالاضافة إلى الخلافات حول طاحونة الهواء كان هناك موضوع الدفاع عن المزرعة لقد أيقن الجميع أن الإنسان - رغم أنه هزم في معركة كوخ البقر - سيقوم بمحاولة أخرى لاستعادة المزرعة وتنصيب مستر جونز ثانية. ومما جعل تلك المحاولة تتأكد هو أن أخبار الهزيمة قد انتشرت في الريف وجعلت الحيوانات في المزارع المجاورة أكثر تبرّماً من ذي قبل. ولقد اختلف سنوبول مع نابليون كالمعتاد. لقد وجب على الحيوانات في رأي نابليون أن يحصلوا على أسلحة نارية ويدربوا أنفسهم على استعمالها. ولكن سنوبول رأى أن ترسل الحيوانات حمامات أكثر ويشعلوا الثورة بين الحيوانات في المزارع الأخرى وهكذا بينما أصرّ نابليون على أنهم إذا لم يستطيعوا حماية أنفسهم فسيهزمون حتماً صرح سنوبول على أنه إذا قامت الثورات في كل مكان فلن يعودوا بحاجة إلى الدفاع عن أنفسهم. ولقد استمعت الحيوانات إلى نابليون ثم سنوبول ولم يستطيعوا أن يقرروا أيهما على صواب وفي الحقيقة

وجدت الحيوانات نفسها متفقة مع من تكلم في تلك اللحظة.

وأتى اليوم الذي أتم فيه سنوبول تصاميمه. وفي الاجتماع العام الذي عقد يوم الأحد التالي أدرج موضوع بدء العمل في بناء الطاحونة أو عدمه في جدول الأعمال وطرح على التصويت. وعندما اجتمعت الحيوانات في المستودع الكبير وقف سنوبول ورغم مقاطعة الأغنام من وقت لآخر - وسرد الأسباب الموجبة لبناء الطاحونة. وبعدها وقف نابليون ليرد عليه بقوله أنه يعتقد أن مشروع الطاحونة عديم الفائدة ونصح الجميع بعدم التصويت للمشروع وجلس مباشرة بعد أن تكلم لأقل من ثلاثين ثانية وبدا عديم الاهتمام بالتأثير الذي أحدثه على المستمعين. وعندها قفز سنوبول واقفاً وبعد أن أسكت الأغنام التي بدأت تثغو من جديد بدأ بنداء مؤثر إلى جانب المشروع. وكانت الحيوانات حتى ذلك الوقت منقسمة بالتساوي بين مؤيدين ومعارضين ولكن في تلك اللحظة بالذات أخذتهم بلاغة سنوبول. لقد رسم صورة لمزرعة الحيوان كما يمكن أن تصبح في جمل براقة وذلك عندما يصبح العمل الشاق الذي يقص ظهر الحيوانات لا حاجة له. لقد جمح خياله بعيداً وراء الحصادات وقاطعات الشمندر لقد قال أن الكهرباء تستطيع أن تدير الدراسات، المحاريث، المسحاة، والبكرات، والحصادات. هذا إلى جانب مدّ كل اصطبل بالنور والماء الساخن والبارد ومدفأة كهربائية. وعندما انتهى سنوبول من الكلام لم يكن هناك أي شك إلى أي جانب سيكون التصويت. ولكن في تلك اللحظة ذاتها وقف نابليون وأطلق صيحة عالية لم يسمعها أحد من قبل. وعندما سمع صوت نباح في الخارج وهرعت إلى مكان الاجتماع تسع كلاب ضخمة ذات أطواق محلاة بمسامير نحاسية. لقد هجموا على سنوبول الذي استطاع أن يقفز من مكانه ويهرب من أفواههم المفتوحة. وفي لحظة واحدة كان سنوبول خارج

الاجتماع والكلاب تطارده. لقد كانت كل الحيوانات مندهشة جداً وخائفة جداً حتى أنها لم تستطع الكلام بل تدافعت جميعا نحو الباب لترقب المطاردة. كان سنوبول يركض عبر المرعى الطويل الذي يقود نحو الطريق. لقد كان يركض كأي خنزير وكانت الكلاب في أعقابه وفجأة تزحلق سنوبول وبدا من المؤكد أن الكلاب ستلحق به ولكنه نهض بسرعة وركض أسرع من قبل وراحت الكلاب تلحق به.وكاد أحد الكلاب يطبق فمه على ذنب سنوبول ولكن سنوبول رفعه بسرعة خاطفة وعندها أسرع سنوبول في الركض إذ كان بينه وبين الكلاب بضعة بوصات فقط ثم خرج من ثغرة في السياج ولم يعد يره أحد.

وعادت الحيوانات أدراجها إلى مكان الاجتماع خائفة وصامتة. وبعد لحظة أتت الكلاب تهرول ولم يستطع أحد أن يتخيل من أين أتت تلك الكلاب ولكن اللغز انكشف بسرعة لقد كانوا تلك الجراء التي أخذها نابليون من أمهاتها وأنشأها بعيداً. ولقد كانوا كلاباً ضخمة وكانت لهم شراسة الذئاب على الرغم من أن نموهم لم يكتمل بعد. لقد كانوا دائماً قرب نابليون ولاحظت الحيوانات أن تلك الكلاب كانت تلوح بأذنابها له كما كانت الكلاب الآخرى تفعل لمستر جونز سابقاً. واعتلى نابليون المنبر حيث وقف ميجر ليلقي خطابه والكلاب تتبعه. ثم قال أنه من الآن فصاعداً لن تكون هناك أية اجتماعات أسبوعية لأنها مضيعة للوقت. وستوكل كل النواحي الخاصة بالعمل في المزرعة إلى لجنة خاصة من الخنازير يترأسها هو بنفسه. وستجتمع اللجنة في السر وبعدها ستنقل القرارات المتخذة إلى الآخرين. وستجتمع الحيوانات صباح كل أحد لتحية العلم وإنشاد "ياحيوانات انجلترا" وتسلّم الأوامر الأسبوعية بدون أية مناقشات.

وبالرغم من الصدمة التي أحدثها نفي سنوبول في نفوسهم فقد أفزعتهم

تلك الأخبار. ولو استطاعوا إيجاد التعليلات اللازمة لاحتجوا على ذلك. وحتى بوكسر نفسه كان قلقاً لقد أرخى أذنيه إلى الوراء وهزّ ناصيته مراراً وحاول جاهداً أن يركّز أفكاره ولكنه لم يستطع في النهاية أن يجد شيئاً يقوله. غير أن بعض الخنازير كانت أكثر حظّاً من بوكسر إذ أرسل أربعة خنازير صغار صيحات عدم الموافقة ووقفوا وبدأوا يتكلمون في نفس الوقت. وفجأة أرسلت الكلاب الجالسة حول نابليون هدرات عميقة مهددة مما جعل الخنازير تجلس صامتة وبعدها بدأت الأغنام بثغاء عال " ذو الأربعة أرجل صديق ذو الاثنين عدّو" . الذي استمر لمدة ربع ساعة وأضاعت كل فرصة للمناقشة.

وبعد الاجتماع دار سكويلر في المزرعة ليشرح الترتيبات الجديدة إلى الآخرين: فقال " أيها الرفاق إنني على ثقة بأن كلا منكم يقدر تضحية الرفيق نابليون بقيامه بهذا العبء الثقيل الإضافي. ولا يمكن أن نتصور، أيها الرفاق أن القيادة متعة - بل على العكس - إنها مسؤولية ضخمة. ولا أحد يؤمن بأن جميع الحيوانات متساوية أكثر من الرفيق نابليون. وكان يسره جداً أن يدعكم تتخذوا قراراتكم بأنفسكم. ولكن الخوف هو أن تتخذوا في وقت ما القرار الخاطئ وعندها ماذا سيحل بنا؟ لنفرض أنكم قررتم اللحاق بسنوبول وطاحونته الهوائية المشرقة سنوبول الذي نعلم الآن أنه لم يكن أحسن من المجرمين.

عندها قال أحدهم: لقد حارب بشجاعة في معركة كوخ الأبقار. فأجاب سكويلر: الشجاعة ليست كافية فالإخلاص والطاعة هي الأهم وبالنسبة لمعركة كوخ الأبقار فإني أعتقد أن الوقت سيأتي حيث نجد أن دور سنوبول فيها كان مبالغاً به. النظام - أيها الرفاق - والنظام الفولاذي - تلك هي كلمة السر الآن. وماعلينا إلا أن نخطو خطوة خاطئة واحدة لنرى

أعداءنا فوق رؤوسنا. حقاً - أيها الرفاق - إنكم لا تريدون عودة مستر جونز؟.

ومرة أخرى كانت هذه المناقشة بدون رد حقاً لم تكن الحيوانات ترغب في عودة مستر جونز وإذا كان عقد المناقشات في صباح الأحد من كل أسبوع يمكن أن يعيد مستر جونز فالمناقشات إذن يجب أن تتوقف. وأما بوكسر الذي كان لديه الوقت الكافي للتفكير في كل شيء. عبّر عن المشاعر العامة بقوله: إذا كان الرفيق نابليون يقول هذا فيجب أن يكون صحيحاً ومنذ ذلك الوقت تبنى بوكسر الحكمة القائلة "نابليون دائماً مصيب " بالإضافة إلى شعاره الخاص: "سأعمل بنشاط أكبر".

وفي هذا الوقت كان الطقس قد تحسن وابتدأ الحرث الربيعي ولقد أقفل الاصطبل الذي رسم فيه سنوبول مخططات الطاحونة وافترض الجميع أن المخططات نفسها قد أزيلت من أرض الاصطبل وفي كل صباح أحد في العاشرة تماماً اجتمعت الحيوانات في الاصطبل الكبير ليستلموا أوامرهم الأسبوعية. والآن نبشت جمجمة ميجر بعد أن زال عنها اللحم ووضعت على أرومة بجانب سارية العلم والبندقية وبعد رفع العلم كان على الحيوانات أن تصطف وتمر أمام الجمجمة بكل احترام قبل دخول الاصطبل. ولم يعودوا يجلسوا الآن سوية كما في السابق إذ أن نابليون وسكويلر وخنزير آخر يسمى مينيموس وله موهبة خاصة في تأليف الأغاني والأشعار جلسوا على المنبر والكلاب التسعة تشكل نصف دائرة حولهم والخنازير الباقية من ورائهم بينما جلست الحيوانات الأخرى تواجههم. كان نابليون يقرأ الأوامر الأسبوعية بأسلوب عسكري فظ وبعد إنشاد "ياحيوانات انجلترا" مرة واحدة تفرق الجميع.

وفي صباح يوم الأحد الثالث بعد إبعاد سنوبول دهشت الحيوانات حين

سمعت نابليون يعلن أن الطاحونة ستقوم. ولم يدل بأية أسباب لهذا التغيير ولكنه حذر الحيوانات أن هذا المشروع الإضافي يعني عملاً شاقاً وربما كان من الضروري تخفيض المخصص الغذائي. ولقد هيئت المخططات بكل تفاصيلها إذ أن لجنة خاصة من الخنازير قامت بهذا العمل خلال ثلاثة أسابيع وسيستغرق بناء الطاحونة مع بعض التحسينات مدة سنتين.

وفي ذلك المساء شرح سكويلر إلى الحيوانات الأخرى أن نابليون لم يعارض في الحقيقة بناء الطاحونة بل على العكس لقد كان أول المنادين بها والمخطط الذي رسمه سنوبول سرق من بين أوراق نابليون. فالحقيقة أن الطاحونة هي فكرة نابليون وعندها سأل أحدهم إذا كان الأمر كذلك فلماذا قاوم نابليون المشروع بتلك الشدة؟ وهنا أجاب سكويلر باحتيال وقال أن ذلك سر دهاء نابليون لقد بدا معارضا للمشروع كمناورة للتخلص من سنوبول عن المسرح فإن المشروع يستطيع المضي قدما إلى الأمام بدون أي تدخل وهذا مايسمى بالتكتيك على حد قول سكويلر وكرر مرات عديدة تكتيك ، تكتيك ..أيها الرفاق!. وهو يقفز ويحرك ذنبه ويضحك بانشراح.

ولم تكن الحيوانات تدري ماتعني هذه الكلمة بالضبط ولكن سكويلر تكلم بإقناع وحدث أن الكلاب الثلاثة التي كانت ترافقه أخذت تهدد بصوت غليظ مما جعل الحيوانات تقبل تعليله بدون أي اعتراض .

الفصل السادس

العاصفة

ولقد عملت الحيوانات كالعبيد طوال السنة ولكنهم كانوا سعداء ولم يدخروا أي جهد أو تضحية لأنهم كانوا يعلمون أن مايقومون به كان لمنفعتهم ومنفعة أبناء جنسهم الذين سيأتون بعدهم وليس لمنفعة شرذمة من اللصوص الكسالى من بني الإنسان.

لقد عملوا بمعدل/٦٠/ ساعة في الأسبوع طوال الربيع والصيف وفي شهر آب أعلن نابليون أن على الجميع أن يعملوا بعد ظهر أيام الآحاد وهذا العمل سيكون اختيارياً ولكن أي حيوان يتغيب سيستلم مخصصات غذائية أقل بمعدل النصف. وحتى حسب هذه الترتيبات كان على الحيوانات أن تترك بعض الأعمال مؤقتاً.

فالموسم الزراعي كان أقل جودة بقليل من سابقه والحقلان اللذان كان يجب أن يزرعا شمندراً في أوائل الصيف تركا بدون زرع لأن الحرث لم ينته في الوقت اللازم. وهكذا كان من الممكن التنبؤ بأن الشتاء القادم سيكون عسيراً.

ولقد كشفت الطاحونة عن صعوبة غير متوقعة ـ لقد كان هناك مقلع أحجار كلسية في المزرعة والكثير من الرمل والاسمنت ـ الموادالللازمة للبناء. ولكن المعضلة التي لم تستطع الحيوانات أن تحلّها في البدء هي كيف

تتمكن الحيوانات من كسر الأحجار إلى الحجم المناسب. فلم يكن هناك أي طريقة سوى استعمال المعاول والأمخال التي لا تستطيع الحيوانات استعمالها لأنها لا تستطيع أن تقف على ساقيها الخلفيتين. وبعد أسابيع عديدة من الجهد الضائع فكر أحدهم بطريقة مجدية ـ وهي أن يستفيد من قوة الثقل لقد كان قطع الصخور الكبيرة جداً والتي لايستطيع أحد زحزحتها كانت في أرض المقلع ولكن الحيوانات طوقتها بالحبال وجرتها ببطئ متناهٍ إلى أعلى المقلع حيث يدعوها تسقط من فوق حافة المقلع وتتكسر إلى قطع عديدة وحالما تكسرت الصخور أصبح نقلها سهلاً لقد نقلتها الخيول بالعربات وجرتها الأغنام قطعة قطعة وحتى سيوربل وبينجامين قرنا أنفسهما تحت نير واحد وقاما بنصيبهما. وفي أواخر الصيف كانت هناك كمية كافية من الحجارة وبدأ البناء تحت إشراف الخنازير. ولكنها كانت عملية بطيئة ومضنية. فغالبا ماقضت الحيوانات يوما منهكاً في جر صخرة واحدة إلى أعلى المقلع وفي بعض الأحيان لم تنكسر الصخرة بعد إسقاطها إلى الأسفل ويعود الفضل في إنجاز هذا القسم من العمل إلى بوكسر وحده الذي بدت قوته تساوي قوة الحيوانات الأخرى مجتمعة ـ فعندما بدأ الجلمود ينزلق وتصايحت الحيوانات بيأس حين وجدت أنفسها تسحب إلى الأسفل مع الجلمود كان بوكسر دائما يقف مسمراً ويجر الحبل حتى يوقف الانزلاق. فكان دائما يرى يجر الصخر جاهداً إلى أعلى المقلع لا هثاً ونهاية حوافره تنشب في الأرض وجوانبه تسبح بالعرق ويثير إعجاب الجميع ولقد حذرته كلوفر مرارا بأن لا يجهد نفسه ولكن بوكسر لم يصغ إليها أبداً. لقد كانت "سأعمل أكثر" و"نابليون دائما على حق" جوابا كافيا على كل المشاكل. لقد اتفق مع أحد الديكة ليوقظه قبل الآخرين بثلاثة أرباع الساعة بدلا من نصف ساعة. كما أنه في أوقات

فراغه التي لم تكن وافرة في هذه الأيام ـ كان يذهب وحيداً إلى المقلع ويجمع عربة من الأحجار المكسرة ويجرها إلى مكان الطاحونة بدون أية مساعدة ولم تكن حالة الحيوانات رديئة طوال الصيف على الرغم من صعوبة العمل. فإذا لم يكن لديهم غذاء أكثر مما كان لديهم أيام المستر جونز فإنهم على الأقل لم يكن لديهم أقل. وكانت حسنة إطعام أنفسهم فقط وليس إطعام خمسة أناس مسرفين كانت هذه الحسنة ذات أهمية وتحتاج إلى الكثير من الفشل ليوازنها. ولقد كانت طريقتهم في إنجاز الأعمال أكفأ من غيرها ووفرت الكثير من العمل. لقد كانت عملية التعشيب تنجز بإتقان يستحيل على الإنسان وبالاضافة ـ إلى أن الحيوانات لم تعد تسرق ـ

لم يعد من الضروري تسييج المراعي والأراضي المروية مما وفّر الكثير من الجهد الذي كان يبذل في العناية بالأسيجة والبوابات. ومع ذلك ومع تقدم الصيف بدت صنوف متعددة من النقص تظهر ـ في زيت البارافين في المسامير في بسكويت الكلاب وفي حدوات الخيل ـ والتي لا ينتج منها شيء في المزرعة. وفيما بعد سيكون نقص في البذار والسماد المعدني إلى جانب الأدوات المختلفة والمحركات اللازمة للطاحونة. ولم يستطع أحد أن يتصور كيفية الحصول على كل هذا.

في أحد أيام الآحاد عندما اجتمعت الحيوانات لاستلام الأوامر أعلن نابليون إنه قرر اتباع سياسة جديدة. من الآن فصاعدا ستتاجر مزرعة الحيوان مع المزارع المجاورة وليس بالطبع لأي هدف تجاري وإنما للحصول على بعض المواد التي تحتاجها المزرعة بإلحاح فحاجات الطاحونة يجب أن تنسخ كل اعتبار آخر على حد قوله.ولذلك فلقد اتفق أن يبيع عرمة من التبن وجزءاً من محصول القمح لهذا العام وفيما بعد وإذا احتاجت المزرعة للمال سيبيع البيض المحصول الرائج في ويلبنجدون. وقد قال نابليون أن

الدجاجات يجب أن ترحب بهذه التضحية كنصيب من المشاركة لبناء الطاحونة.

ومرة أخرى شعرت الحيوانات بقلق غامض الم يكن عدم معاملة البشر وعدم المتاجرة وعدم استعمال النقود ألم يكن كل ذلك من القرارات الأولية التي اتخذت في ذلك الاجتماع المظفر الذي عقد بعد إبعاد مستر جونز؟ لقد تذكرت كل الحيوانات اتخاذ مثل هذه القرارات أو على الأقل ظنوا أنهم تذكروها. لقد رفع الخنازير الأربعة (الذين احتجوا علىالغاء الاجتماعات) أصواتهم بهلع ولكن زمجرة الكلاب العالية أسكتتهم. وفجأة ارتفع صوت الأغنام بشعار ذو أربعة سيقان جيد ذو ساقين رديء. وهكذا مرت هذه اللحظة الحرجة بسلام.

وفي النهاية رفع نابليون كارعه يطلب الصمت وليعلن أنه قد عقد تلك الاتفاقيات ولا حاجة أن يحتك أحد الحيوانات بالبشر فلقد أخذ هو هذه المسؤولية على عاتقه إذ أن هناك محام يسمى مستر هويمبر ويعيش في ويلينجدون وافق على أن يكون وسيطا بين مزرعة الحيوان والعالم الخارجي وسيزور المزرعة صباح كل يوم اثنين ليتلقى التعليمات. وقد ختم نابليون خطابه بالهتاف "عاشت مزرعة الحيوان" وقد تفرقت الحيوانات بعد إنشاد "ياحيوانات انجلترا".

وقد تجول سكويلر في المزرعة بعد ذلك وطمأن الحيوانات جميعاً. لقد أكد لهم أن قرار عدم المتاجرة وعدم استعمال النقود لم يتخذ أو يقترح أبداً. إن ذلك مرده إلى الخيال أو إلى الأكاذيب التي أشاعها سنوبول ولكن بعض الحيوانات كانت لاتزال تشك في الأمر مما جعل سكويلر يسأل بدهاء أمتأكدون أن ذلك لم يكن حلماً رأيتموه أيها الرفاق؟ هل لديكم أي مخطوط يثبت ذلك؟ هل القرار مكتوب؟ وبما أنه لم تكن هناك قرارت

مكتوبة فلقد شعرت الحيوانات أنها كانت مخطئة.

ولقد زار مستر هويمبر المزرعة صباح كل يوم اثنين كما اتفق.

لقد كان رجلاً بادي الدهاء ذا شاربين طويلين ومحامياً بكل مافي الكلمة من معنى مما جعله يرى قبل أي إنسان آخر أن مزرعة الحيوان ستحتاج إلى سمسار وأن العمولة ستكون وفيرة. لقد راقبت الحيوانات مجيئه وذهابه بشيء من الخوف وتجنبوه بقدر الإمكان. ولكن مرأى نابليون ذي الأربعة سيقان وقد وقف يصدر الأوامر لمستر هويمبر الذي وقف على ساقيه أثار كبرياءهم وجعلهم يحبذون تلك الاتفاقات . فعلاقاتهم الآن بالبشر هي غير ماكانت عليه في الماضي . فالناس لم يقل بغضهم لمزرعة الحيوان في ازدهارها الحاضر بل في الحقيقة بغضوها أكثر. لقد آمن كل إنسان أن مزرعة الحيوان ستفلس عاجلاًأم آجلاً وستكون الطاحونة فضلاً عن ذلك فاشلة حتماً وأنه حتى لو بنيت الطاحونة فلن تعمل أبداً. ولكن ـ ورغماً عن إراداتهم ـ فقد نما شعور باحترام كفاءة الحيوانات بإدارة مزرعتهم. وكدليل على ذلك فإنهم بدأوا يسمون مزرعة الحيوان بهذا الاسم وامتنعوا عن التظاهر بأنها تدعى مزرعة الحانوت. كما أنهم توقفوا عن مناصرة مستر جونز الذي يئس من استرداد مزرعته ورحل ليعيش في مكان آخر من البلاد ولم يكن هناك أي احتكاك بين مزرعة الحيوان والعالم الخارجي سوى عن طريق مستر هويمبر ولكن الإشاعات كانت تقول أن نابليون سيتفق مع مستر بيلكينجتون أو مستر فوكسوود أو مستر فريدريك صاحب مزرعة بينتشفيلد ولكن ليس مع أكثر من واحد منهم في نفس الوقت.

وحوالي هذا الوقت رحلت الخنازير إلى بيت المزرعة فجأة وأقامت هناك. ومرة أخرى اعتقدت الحيوانات الأخرى أنها تذكرت قراراً اتخذ ضد هذا العمل في أيام الثورة الأولى، ومرة أخرى استطاع سكويلر أن يقنعهم أن ذلك ليس صحيحاً إذ قال إنه من الضروري جداً أن يكون للخنازير (وهم عقل

المزرعة المفكر) مكان هادئ للعمل. وإن مكاناً كهذا أكثر تلاؤماً مع منصب القائد (وقد أصبح هكذا يسمي نابليون في المدة الأخيرة) الذي يجب أن يعيش في منزل وليس في مجرد زريبة. وعلى الرغم من حجج سكويلر فلقد كانت بعض الحيوانات قلقة وخصوصاً عندما سمعوا أن الخنازير لم يكتفوا بتناول طعام في المطبخ وجعل غرفة الاستقبال غرفة تسلية لهم بل ناموا في الأسرة أيضاً. ورغم أن بوكسر اكتفى بالقول: "نابليون مصيب دائماً" فإن كلوفر (التي اعتقدت أنها تذكرت قراراً أكيداً ضد النوم في الأسرة) مشت إلى آخر الاصطبل وحاولت أن تقرأ الوصايا السبع المكتوبة هناك. ولم تستطع قراءة أكثر من حروف فردية لذلك استعانت بموريل وقالت لها: "اقرئي لي يا موريل الوصية الرابعة. ألا تقول شيئاً حول النوم في الأسرة" وقرأت موريل بصعوبة: يجب ألا ينام حيوان في سرير ذي شراشف ومن العجيب أن كلوفر لم تتذكر شيئاً حول الشراشف، ولكنها لما كانت مكتوبة على الجدار فيجب أن يكون الأمر كذلك. ولقد استطاع سكويلر الذي صدف أن كان يمر هناك بصحبة كلبين أو ثلاثة استطاع أن ينهي المسألة فقال "لقد سمعتم أيها الرفاق أننا معشر الخنازير ننام في الأسرة؟ ولم لا؟ هل اعتقدتم أنه كان هناك قرار ضد النوم في الأسرة. السرير يعني مكان للنوم، فكومة تبن في الاصطبل تعتبر سريراً. لقد كان القرار ضد الشراشف التي تعتبر اختراعاً بشرياً لقد نقلنا الشراشف من أسرة المزرعة وننام تحت البطانيات فقط. ولكم هي مريحة! ولكنها ليست مريحة أكثر مما نحتاج إليه أيها الرفاق بعد كل الجهد العقلي الذي نبذله في هذه الأيام. وحتما لا تريدون أن تسلبونا راحتنا؟ هل تريدوننا تعبين جداً كي لا نستطيع أن نقوم بواجباتنا؟ وحتما ليس من بينكم من يريد عودة مستر جونز؟" وهنا طمأنته بقية الحيوانات وحول هذه النقطة بالذات، ولم يعد أحد يتكلم حول نوم الخنازير في أسرة المزرعة. وعندما أعلن بعد ذلك بأيام أن الخنازير

ستنهض بعد الآخرين بساعة لم يتبرم أحد من ذلك أيضاً. وعند حلول الخريف كانت الحيوانات تعبة ولكنها سعيدة. لقد كانت سنتهم صعبة وبعد اضطرارهم إلى بيع قسم من التبن والقمح لم تعد المخازن مليئة ولكن الطاحونة عوضت كل الخسارات. لقد انتهى بناء أكثر من نصفها. وبعد موسم الحصاد اتت فترة من الطقس الجاف الصافي مما جعل الحيوانات تعمل بنشاط أكبر معتقدين أن الطاحونة تستحق ذهابهم وإيابهم طوال النهار حاملين الأحجار لبناء قسم آخر من الجدار. ولقد أمسى بوكسر يعمل ساعة أو ساعتين في كل ليلة تحت ضوء القمر. وكانت الحيوانات في أوقات فراغها تتجول حول الطاحونة لتبدي إعجابها بقوتها وعمودية جدرانها وقدرتهم على بنائها. ولكن بينجامين العجوز وحده رفض أن يتحمس للطاحونة رغم أنه - كعادته - لم يقل شيئاً بالإضافة إلى اشاراته الغامضة من أن الحمير تعمر طويلاً وأخيراً أتى شهر تشرين الثاني برياحه العاتية. حينئذ توقف البناء لأن الطقس أصبح رطباً جداً لمزج الاسمنت. وفي النهاية وذات ليلة هبت عاصفة هوجاء زعزعت جميع أبنية المزرعة من أساسها كما حملت عدة قطع من قرميد سطح الاصطبل الأمر الذي أيقظ الدجاجات التي أخذت تصيح خائفة لأنها حلمت كلها أنها سمعت صوت بندقية بعيدة تنطلق. وفي الصباح خرجت الحيوانات من حظائرها لتجد أن سارية العلم قد سقطت وأن شجرة الدردار في أسفل البستان اقتلعت من جذورها كالفجلة. وعندها خرجت صرخة يائسة منهم جميعاً وفي نفس الوقت لأنهم رأوا منظراً مرعباً - لقد أصبحت الطاحونة خراباً. لقد تراكضت الحيوانات إلى المكان حتى نابليون (الذي نادراً ما أسرع) جرى في مقدمتهم نعم - إنها خراب - لقد كانت ثمرة جهدهم مهدومة من أساسها وكانت الحجارة التي كسرّوها في عناء مبعثرة في كل مكان. ولما لم يستطيعوا أن ينبثوا بينت شفة وقفوا كلهم في صمت حزين يحدقون في كومة الأحجار المتداعية.

أما نابليون فكان يزرع الأرض جيئة وذهاباً في صمت ويشم الأرض من حين لآخر. وكان ذنبه منتصباً يتحرك بسرعة من جانب لآخر دلالة على نشاط فكري عظيم. وفجأة توقف كما لو قرر شيئاً. لقد قال بهدوء: "هل تعلمون أيها الرفاق من المسؤول عن ذلك؟ هل تعرفون العدو الذي زارنا تحت جنح الظلام وهدم طاحونتنا؟ إنه سنوبول!" وهنا صاح بصوت كالرعد: "سنوبول هو فاعل كل هذا لمجرد الحقد ولأنه أراد أن يعرقل برنامجنا ليثأر لنفسه ولطرده المشين. لقد زحف هذا الخائن ليلاً وهدم عملنا الذي استغرق حوالي السنة. إنني من هذا المكان بالذات أحكم عليه بالموت كما أنني أخصص مدالية بطل الحيوان من الدرجة الثانية ونصف كيس من التفاح جائزة لكل من يحضره لينال جزاءه كما أخصص كيساً من التفاح لكل من يحضره حيّاً. لقد ذهلت الحيوانات كلها حين علمت أن سنوبول يمكن أن يكون مجرماً إلى هذا الحد. لقد انطلقت صيحة السخط وكل بدأ يفكر في كيفية القبض على سنوبول إذا عاد ثانية. وبعدها مباشرة اكتشفت الحيوانات آثار أقدام خنزير في المرج غير بعيد من الرابية. لقد استطاعوا أن يتتبعوها لمسافة بضعة أقدام ولكنها بدت وكأنها تقود إلى ثغرة في السياج. ولقد اشتم نابليون تلك الآثار وأعلن أنها آثار سنوبول، وقال أنه يعتقد أن سنوبول أتى من جهة مزرعة فوكسوود. ثم أضاف "يجب أن نبدأ حالاً بإعادة بناء الطاحونة وسنستمر في البناء طوال الشتاء مهما كانت الأحوال الجوية. وسنري هذا الخائن التعيس أنه لا يستطيع أن يعرقل سيرنا بسهولة. تذكروا أيها الرفاق يجب ألا يدخل أي تعديل على برنامجنا وسننفذها في الوقت المحدد. فإلى الأمام أيها الرفاق، عاشت الطاحونة وعاشت مزرعة الحيوان.

الفصل السابع

المذبحة !

لقد كان شتاء قارساً، ولقد كانت العواصف مشفوعة بسقوط البَرَد والثلج وبعدها أتى صقيع قاسي لم يذب حتى أواسط شباط. ولقد استمرت الحيوانات في اعادة بناء الطاحونة حسب طاقتها وهي تعلم حق العلم بأن العالم الخارجي يراقبها وأن البشر الحسودين سيسرون ويفرحون إذا لم ينته بناء الطاحونة في الوقت المحدد.

ولقد تظاهر الناس عن ضغينة بأنهم لا يصدقون أن سنوبول هو الذي هدم الطاحونة ـ لقد رددوا أن الطاحونة تداعت لأن الجدران لم تكن سميكة كفاية. ولكن الحيوانات كانت تعلم أن الأمر ليس كذلك. وعلى كل حال فلقد قررت الحيوانات أن تبني الجدران بسماكة ثلاثة أقدام بدلاً من قدم ونصف وذلك يعني أن على الحيوانات أن تجمع كميات أكبر من الحجارة. لقد بقيت المزرعة مغطاة بالثلج لمدة طويلة مما جعل الحيوانات عاجزة عن القيام بأي عمل. ولكن العمل أحرز بعض التقدم في الطقس الجاف المتجمد الذي تبع ذلك، ولكن العمل كان شاقاً ولم تستطع الحيوانات أن تشعر بالأمل الذي كانت تشعر به من قبل. كانت دائماً ترتجف من البرد وغالباً ما كانت جائعة. ولم يبق إلا بوكسر وكلوفر على ولائهما القديم. لقد ألقى سكويلر عدة خطابات رائعة في بهجة القيام

بالواجب وجلال العمل ولكن الحيوانات وجدت الإلهام الأكبر في قوة بوكسر وحيويته الدائمة "سأعمل أكثر" وفي كانون الثاني قصر الطعام مما أوجب إنقاص المخصصات الغذائية كثيراً وأعلن أن حبة بطاطا واحدة ستضاف إلى المخصصات لتعوض النقص. وعندئذ اكتشف المسؤولون أن القسم الأعظم من محصول البطاطا قد تجمد في المخازن الأرضية التي لم تغط بطبقة كافية من التربة. لقد اصبحت البطاطا طرية وعديمة اللون ولم يبق إلا القليل الذي يصلح للأكل. ولم تجد الحيوانات ما تأكله لمدة ايام عدا التبن والشمندر وبدت المجاعة تحدق في وجوهها. وكان من الضروري جداً أن تخفي هذه الحقيقة عن العالم الخارجي الذي شجعه سقوط الطاحونة فأخذ الناس يخترعون أكاذيب جديدة حول مزرعة الحيوان. ومرة أخرى أشيع أن كل الحيوانات تموت فريسة الجوع والمرض وأنها دائماً تحارب بعضها البعض وأنها أيضاً أخذت تأكل بعضها البعض - وتقتل صغارها - ولقد كان نابليون يعلم بالنتائج السيئة التي يمكن أن تنتج إذا وقف الناس على حقيقة قلة المواد الغذائية ولذلك قرر أن يستعمل مستر هويمبر لينشر فكرة معاكسة. وحتى الآن كان للحيوانات احتكاك قليل مع مستر هويمبر في زياراته الاسبوعية والآن أخبرت بعض الحيوانات المختارة ومعظمها من الأغنام أخبرت أن تعلق صدفة تحت سمعه أن مخصصات الغذاء قد زيدت. وبالإضافة إلى ذلك أمر نابليون أن تملأ صناديق العلف الفارغة تقريباً والموجودة في الحظائر أن تملأ معظمها بالرمل وتغطى بما تبقى من العلف. وبطريقة ما اقتيد مستر هويمبر إلى مخزن العلف وترك يلمح صناديق العلف. وهكذا خُدِع واستمر في إخبار العالم الخارجي بعدم وجود أزمة غذائية في مزرعة الحيوان. ومع ذلك، ففي نهاية كانون الثاني أصبح من الواضح ضرورة الحصول على العلف من اي مكان. في تلك الأيام نادراً ما ظهر

نابليون بين الحيوانات بل قضى معظم وقته في بيت المزرعة الذي كان محروساً بالكلاب الشرسة عند كل باب. وكان ظهوره رسمياً برفقة خمسة أو ستة كلاب التي أحاطت به عن قرب وزمجرت كلما اقترب من أحد. وكثيراً ما تغيب عن اجتماع صباح الأحد وأصدر الأوامر عن طريق أحد الخنازير وعادة سكويلر.

وفي صباح أحد الآحاد أعلن سكويلر أن على الدجاجات (التي ابتدأت بوضع البيض ثانية) أن تتبرع بذلك البيض لقد قبل نابليون عن طريق مستر هويمبر عقداً لتقديم ٤٠٠ بيضة في الأسبوع، وثمن هذا البيض سيكفي لشراء العلف اللازم حتى قدوم الصيف وتحسن الأحوال. وعندما سمعت الدجاجات بذلك أطلقت كلها صيحة مريعة. لقد أنذرت الدجاجات من قبل أن هذه التضحية ربما اصبحت ضرورية ولكنهم لم يصدقوا أن ذلك سيحدث في أي وقت. ولقد كانت الدجاجات تستعد للتفريخ الربيعي مما جعلها تحتج بقولها أن تسليم البيض جريمة قتل مؤكدة. وللمرة الأولى منذ إبعاد مستر جونز حدث في المزرعة ما يشبه الثورة. وتحت قيادة ثلاثة فرخات.

قررت الدجاجات أن تعاكس رغبات نابليون. وكانت الخطة أن تطير الدجاجات إلى الرفوف العالية وتضع البيض هناك حيث يسقط على الأرض ويتحطم. وانبرى نابليون إلى العمل بسرعة وبقسوة أيضاً لقد أمر أن توقف مخصصات الدجاجات الغذائية وأمر باعدام أي حيوان يعطي الدجاجات ولو حبة قمح. ولقد حرصت الكلاب على تنفيذ هذه الأوامر. وقد صمدت الدجاجات لمدة خمسة أيام ولكنها استسلمت بعدها وعادت إلى قنها بعد أن ماتت تسعة منها ودفنت في أسفل البستان وأذيع أنها ماتت. ولم يعرف هويمبر من الأمر شيئاً إذ أن البيض كان يسلم في وقته

حيث تأتي عربة السمان إلى المزرعة مرة في كل اسبوع لتنقل البيض إلى المخزن.

ولم تسمع أي أنباء حول سنوبول خلال هذه المدة لقد كان يهمس أنه كان يختبئ في إحدى المزارع المجاورة. ربما فوكسوود أو بينتشفيلد. هذا بينما أصبحت صداقة نابليون مع الجيران أحسن من ذي قبل. وحدث أن كان في الساحة الكثير من خشب الحور الذي قطع من غيضة قبل ١٠ سنوات وما أن رآها هويمبر حتى نصح نابليون ببيعها وكان كل من السيد بيلكينجتون والسيد فريدريك يتوق لشرائها. وكان نابليون متردداً لمن سيبيع الأخشاب دون أن يصل لأي قرار نهائي. وكلما قرر أن يبيع الأخشاب لفريدريك أشيع أن سنوبول يختبئ في مزرعته وكلما قرر أن يبيع الأخشاب لبيلكينجتون أشيع أن سنوبول يختبئ في مزرعته.

وفجأة في أوائل الربيع اكتشفت الحيوانات شيئاً مخيفاً. لقد كان سنوبول يتردد سراً على المزرعة في الليل ولقد قلقت الحيوانات لدرجة أنها لم تستطع النوم في الاصطبلات. ولقد قيل أن سنوبول كان يزحف كل ليلة تحت جنح الظلام وقام بكل أنواع التخريب ـ سرق القمح، قلب سطول الحليب، كسر البيضات، وداس جميع المشاتل، ونزع قشرة الأشجار المثمرة. ولقد أصبح من المعتاد أن يعزى كل عمل تخريبي إلى سنوبول ـ فإذا ما كسر زجاج نافذة أو سدت قناة صاح أحدهم أن سنوبول قدم في الليل وقام بذلك أو عندما فقد مفتاح المخزن كانت المزرعة بكاملها متأكدة من أن سنوبول رماه في البئر. ومن الغرابة أنهم بقوا على هذا الاعتقاد حتى عندما وجد المفتاح تحت كيس من العلف. وصرحت البقرات بالاجماع أن سنوبول كان يتسلل إلى زرائبهم وحلبهم حين كانوا يغطون في النوم. وحتى الفئران التي كانت تزعج المزرعة قيل أنها كانت متآمرة مع سنوبول.

وقد صرح نابليون أنه سيقوم بتحقيق يشمل جميع نشاطات سنوبول. وقد بدأ جولته التفتيشية بصحبة كلابه تتبعهم باقي الحيوانات. وكان نابليون يتوقف بعد بضع خطوات ويشم الأرض ليتحقق من آثار أقدام سنوبول التي قال أنه يستطيع أن يميزها كان يشم كل زاوية في الاصطبلات والزرائب والحديقة ويجد آثار سنوبول تقريباً في كل مكان. كان يضع أنفه في الأرض ويستنشق عدة مرات ويصيح بصوت عال "سنوبول! لقد مرّ من هنا! إني أستطيع أن أشتم رائحته بكل تمييز!" وعند سماع كلمة سنوبول زمجرت الكلاب وأظهرت أنيابها، مما أخاف جميع الحيوانات التي بدا لها أن سنوبول أصبح نوعاً من السلطة التي تغزو الهواء المحيط بهم وتهددهم بكل أنواع الخطر. وفي المساء جمع جميع الحيوانات وأخبرهم (والخوف بادٍ على وجهه) أن لديه بعض الأنباء الخطيرة، وهكذا صاح (وهو يدور بخطوات قلقة): - ايها الرفاق! لقد اكتشفنا سراً خطيراً للغاية. لقد باع سنوبول نفسه لفريدريك صاحب مزرعة بيتشفيلد الذي قرر مهاجمتنا واغتصاب مزرعتنا منا، وذلك بقيادة سنوبول. ولكن هناك ما هو أسوأ من ذلك. لقد كنا دائماً نظن أن ثورة سنوبول ناتجة عن غروره وطموحه ولكننا كنا مخطئين. فهل تعرفون السبب الحقيقي؟ لقد كان سنوبول على اتفاق مع جونز منذ البدء. لقد كان عميل جونز خلال المدة كلها. لقد ثبت ذلك من الوثائق التي تركها هنا والتي اكتشفناها مؤخراً. وفي رأيي أن ذلك يشرح الكثير من تصرفاته. ألم نر جميعاً كيف حاول (ولحسن الحظ بدون نجاح) أن يجعلنا نهزم وندمر في معركة الزرائب؟ وهذا أوهن الجميع. لقد كان هذا جرماً يفوق هدم الطاحومة، ولم تستطع الحيوانات استيعاب ذلك قبل مرور بضع دقائق. لقد تذكروا - ميعاً (أو ظنوا أنهم تذكروا) كيف أنهم رأوا سنوبول يهجم في مقدمتهم جميعاً في تلك المعركة وكيف أنه

حثهم وشجعهم في كل مرحلة ولم يتوقف لحظة واحدة حتى حين جرحت طلقات بندقية جونز ظهره. ووجدت الحيوانات صعوبات في البدء في التوفيق بين سلوكه وكونه بجانب جونز. وحتى بوكسر نفسه (الذي نادراً ما سأل أي سؤال) بدا حائراً - فجلس على الأرض واضعاً حوافره تحته ومغمضاً عينيه وبجهد جهيد استطاع أن يجمع أفكاره وقال: - إني لا اصدق ذلك. لقد حارب سنوبول بشجاعة في تلك المعركة. لقد رأيته بنفسي. ألم نمنحه مدالية" بطل الحيوان. درجة أولى" بعد المعركة؟

- لقد ارتكبنا خطأ كبيراً أيها الرفاق! لأننا نعلم الآن (وهذا مكتوب بالوثائق التي عثرنا عليها) أنه كان يحاول تضليلنا وسوقنا إلى حتفنا.

ولكن بوكسر قال: - ولكنه جرح - ولقد رأيناه جميعاً يجري والدم يسيل من جرحه . وهنا صرخ سكويلر: -

- لقد كان ذلك جزءاً من المؤامرة - إذ أن طلقة جونز خدشته فقط، إن في استطاعتي عرض هذا بخط يده لو كان باستطاعتكم أن تقرأوا.

فالخطة كانت أن يعطي سنوبول الإشارة (في هذه اللحظة الحاسمة) بالفرار ويترك الحقل للأعداء. وكاد ينجح في ذلك وإني أود أن أقول أنه نجح في ذلك لولا وجود قائدنا البطل الرفيق نابليون. ألا تذكرون كيف هرب سنوبول تتبعه بعض الحيوانات تماماً في نفس اللحظة التي دخل فيها جونز ورجاله الساحة؟ وهلاّ تذكرون أنه أيضاً في تلك اللحظة بالذات عندما بدأ الذعر ينتشر وبدا كل شيء خاسراً أنه في تلك اللحظة قفز الرفيق نابليون يصيح "الموت للإنسان" وغرز أنيابه في ساق جونز؟ إنكم تذكرون ذلك بكل تأكيد؟

والآن بعد أن وصف سكويلر المشهد بهذه الطريقة التصويرية بدا

للحيوانات أنها تذكرت كل شيء، أو تذكروا على أقل تقدير أنهم رأوا سنوبول يحاول الهرب. ولكن بوكسر بقي قلق بعض الشيء وأخيراً قال: - لا أصدق أن سنوبول كان خائناً في البداية. والأعمال التي قام بها منذ المعركة تختلف عن سابقاتها. إني مؤمن بأنه كان رفيقاً مخلصاً في معركة الزرائب. وعندها تكلم سكويلر بهدوء وقوة وقال: - إن قائدنا الرفيق نابليون صرح بكل تأكيد أن سنوبول كان عميل جونز المأجور منذ البداية - نعم، وحتى قبل التفكير في الثورة. - الآن يبدو الفرق واضحاً. فإذا كان الرفيق نابليون يصرح بذلك فيجب أن يكون مصيباً. وعندها صرخ: - هذا هو الرأي السديد، أيها الرفيق! ولكن الجميع لاحظوا نظرة الشذر التي رمى سكويلر بوكسر بها. وعندما استدار ليعود توقف قليلاً وقال بصوت مؤثر: - إني أحذر كل حيوان في هذه المزرعة من أن يقصر في مراقبتها لأننا نعتقد صادقين أن عملاء سنوبول يختبئون بيننا حتى في هذه اللحظة.

أربعة أيام مضت عندما أمر نابليون جميع حيوانات المزرعة بالإجتماع بعد الظهر في ساحة المزرعة الرئيسية. وعندما اجتمعت الحيوانات برز نابليون من البيت مزيناً صدره بمداليتيه (لأنه منح نفسه مؤخراً مدالية "بطل الحيوان - درجة أولى" ومدالية "بطل الحيوان - درجة ثانية") مصطحباً كلابه التسعة التي كانت تجري حوله وتطلق الزمجرات التي بعثت الرجفة في نفوس الحيوانات. لقد وقفوا يرتجفون في أماكنهم صامتين ويبدو عليهم أنهم يعرفون مقدماً أن هناك حادثاً مرعباً قريب الوقوع.

وقف نابليون بصرامة يتحرى جمهوره ثم أطلق صرخة عالية. وفجأة انطلقت الكلاب إلى الأمام وقبضت على أربعة خنازير من الآذان وجرتها (الخنازير تصرخ من الألم والرعب) إلى حيث وقف نالبون. كانت الدماء تسيل من آذان الخنازير، وقد ذاقت الكلاب طعم الدماء وبدت كأنها جن جنونها.

ولشد ما كانت دهشة الجميع حين رأوا ثلاثة كلاب تتجه صوب بوكسر الذي رآهم ورفع حافره الغليظ ورفس أحد الكلاب في الهواء وألصقه بالأرض. وصاح الكلب من شدة الألم وهرب الكلبان الآخران. ونظر بوكسر إلى نابليون ليرى فيما إذا أذن بتحطيم الكلب أو بتركه. وهنا تغيرت معالم نابليون وأمر بوكسر بترك الكلب وعندها رفع بوكسر حافره وتسلل الكلب هارباً بكل رضوضه وأناته. ثم خفتت الضجة، وانتظرت الخنازير الأربعة وهي ترتجف ومعالم الذنب مرتسمة على وجوهها. ثم دعاهم نابليون إلى الاعتراف بجرائمهم. لقد كانوا نفس الخنازير التي احتجت على إلغاء اجتماع يوم الأحد. وبدون أي تلقين اعترف الجميع أنهم كانوا على اتصال سري بسنوبول منذ نفيه وأنهم تعاونوا معه في تخريب الطاحونة واتفقوا معه على تسليم المزرعة إلى السيد فريدريك واضافوا أن سنوبول اعترف لهم بأنه كان عميل جونز المأجور لعدة سنوات خلت. وعندما انتهوا من سرد اعترافاتهم قفزت الكلاب وقطعت أعناقهم ومن ثم صرخ نابليون فيما إذا كان بين الحيوانات من يريد الاعتراف، فتقدمت الدجاجات الثلاث (التي لعبت دور الزعماء في الثورة حول قضية البيض) واعترفت بأن سنوبول ظهر لهن في المنام وحرضهن على عصيان أوامر نابليون، وعندها قتلت في الحال. ثم تقدمت بطة واعترفت أنها خبأت ست سنابل من القمح خلال موسم الحصاد الماضي وأكلتها في الخفاء، كما اعترفت إحدى النعاج أنها بولت في بركة ماء الشرب ـ تحت ضغط سنوبول، على حد زعمها ـ وكما اعترفت نعجتان بعدها أنها قتلت الكبش العجوز المخلص لنابليون، وذلك بمطاردته حول نار الهشيم حين كان مصاباً بسعال حاد. وكل هؤلاء قتلوا في نفس المكان. وهكذا استمرت قصة الاعترافات والموت حتى اصبح هناك كتلة من الأجسام تحت قدمي نابليون

وامتلأ الجو برائحة الدم التي لم تعرف منذ نفي جونز.

وعندما انتهى كل ذلك تسللت الحيوانات الباقية كلها ما عدا الخنازير والكلاب. كانت كل الحيوانات كئيبة خائفة. ولم يعرفوا أيها كان أفظع - خيانة الحيوانات التي اتفقت مع سنوبول أم العقاب القاسي الذي شاهدوه. حقاً لقد كانت هناك مشاهد دموية في الماضي ولكن المشهد الآن بدا لهم أشد سوءاً لأنه حدث بين الحيوانات. منذ أن ترك جونز المزرعة حتى اليوم لم يقتل أي حيوان حيواناً آخر. لقد ذهبوا إلى الهضبة الصغيرة حيث كانت الطاحونة التي لم تنته بعد وجلسوا كلهم في قطيع واحد كأنهم ينشدون الدفء - كلهم ما عدا القطة التي اختفت قبيل أن يدعو نابليون إلى الاجتماع المذكور، ولم يتكلم أحد لبعض الوقت. أما بوكسر فبقي واقفاً وأخذ يتململ جيئة وذهاباً يهز بذنبه الأسود على جانبيه ويطلق نهقة دهشة صغيرة بين حين وآخر. وأخيراً قال: - إني لا افهم ذلك. لم أكن لأصدق أن حوادث كهذه يمكن أن تحدث في مزرعتنا. يجب أن يكون ذلك عائداً إلى خطأ ما. والحل - كما أراه - أن نشتغل بجد أكثر وإنني من الآن فصاعداً سأنهض قبل الآخرين بساعة كاملة ثم تهادى نحو المقلع. وحين وصلها جمع حملين من الحجارة وجرها إلى الطاحونة قبل أن يستريح في تلك الليلة.

أما بقية الحيوانات فقد تجمهرت حول كلوفر بدون أن يتكلموا. ولقد أعطتهم الهضبة مشهداً عاماً للريف بما في ذلك مزرعة الحيوان بمرعاها الطويل الممتد بجانب الطريق الرئيسي وحقل الحشيش والخميلة، وبركة الشرب والحقول المزروعة بالقمح الأخضر الكثيف وسقوف بيوت المزرعة الحمراء والدخان المتصاعد من مداخنها. كانت إحدى أمسيات الربيع الصافية. ولقد رصعت الأسيجة المتفجرة والحشائش بأعمدة الأشعة الذهبية

الأفقية. وهكذا بدت المزرعة لهم - حيث تذكروا أنها مزرعتهم - أنها وطنهم العزيز بكل شبر منها. وعندما نظرت كلوفر من أعلى الهضبة امتلأت عيناها بالدمع. ولو استطاعت أن تفصح عن أفكارها لقالت أن ما جرى اليوم لم يكن ما هدفت إليه الحيوانات عندما بدأوا العمل على قلب نظام الإنسان. هذه المناظر من الإرهاب والقتل لم تكن ما تاقوا إليه في تلك الليلة عندما حرضهم ميجر العجوز على الثورة. ولو كانت لديها رؤى المستقبل لكانت مجتمعاً من الحيوانات محرراً من الجوع والسياط حيث كلهم متساوون - وكل يعمل حسب طاقته والقوي منهم يحمي الضعيف كما حمت هي صغار البط ليلة خطب ميجر. ولكن - وهي لا تعلم لماذا - عوضاً عن ذلك عاشوا إلى الوقت الذي لا يستطيع فيه أحدهم أن يفصح عما يجول في خلده وحيث الكلاب القوية المسعورة تجوب جميع أنحاء المزرعة وحيث وجد الحيوان نفسه يراقب رفاقه يمزقون إرباً إرباً أمام عينيه بعد اعترافهم بجرائمهم المرعبة. لم يكن هناك فكرة ثورة أو عصيان في فكرها لأنها كانت تعلم أن الحالة لا زالت أحسن مما كانت عليه أيام حكم جونز، ويجب قبل كل شيء العمل على لا عودة الإنسان. ومهما حدث فستظل مخلصة وستعمل بنشاط أكبر وستنفذ الأوامر المعطاة إليها وتقبل بقيادة نابليون. ومع كل هذا فإنها والحيوانات الأخرى لم تعمل لإحلال الإرهاب والقتل ولم تترك الحيوانات تتعرض لرصاص بنادق جونز لهذا السبب، تلك كانت أفكارها رغم أنها لم تملك الكلمات لتعبر عنها. وفي النهاية بدأت تنشد "يا حيوانات انجلترا" كبديل للكلمات التي لم تجد، وشاطرتها ذلك الحيوانات الأخرى المحيطة بها حيث غنى الجميع النشيد ثلاث مرات بإيقاع منتظم ولحن حزين بطيء كما لم يغنوه من قبل. وصل سكويلر بصحبة كلبين بعد أن انهت الحيوانات. إنشاد النشيد للمرة الثالثة وقد ظهر

أن لديه أخباراً هامة. لقد صرح أن الرفيق نابليون ألغى نشيد "يا حيوانات انجلترا" بمرسوم خاص وأصبح إنشاده ممنوعاً. وهذا أذهل الحيوانات وجعل سيوريبل تصرخ: - لماذا. فأجابها سكويلر: - لم يعد هناك حاجة له أيها الرفاق. لقد كان "يا حيوانات انجلترا" نشيد الثورة، ولكن الثورة الآن قد أنجزت وكان إعدام الخونة في هذا اليوم المرحلة الأخيرة. لقد هزمنا عدونا الداخلي والخارجي على السواء. ففي "يا حيوانات انجلترا" كنا نعبّر عن تشوقنا إلى مجتمع أفضل في المستقبل، ولكنا قد حققنا كل هذا مما يوضح عدم فائدة هذا النشيد من الآن فصاعداً. ورغم أن الحيوانات كانت خائفة فإنها كان يمكن أن تحتج على ذلك لولا أن النعاج بدأت تثغو "ذو أربع قوائم حسن، ذو ساقين سيء" الذي استمر لبضع دقائق وأنتهى الحديث.

وهكذا لم يعد نشيد "يا حيوانات انجلترا" يسمع في المزرعة. وبدلاً منه فقد نظم الشاعر مينيمس أغنية أخرى التي كان مطلعها:

يا مزرعة الحيوان، يا مزرعة الحيوان

لن ينالك أي ضرر في عهدي

وكانت تنشد صباح كل أحد بعد رفع العلم. ولكن الكلمات أو اللحن لم تجار نشيد "يا حيوانات انجلترا".



الفصل الثامن

الحرب

بعد بضعة أيام عندما زال الإرهاب الناتج عن القتل تذكرت بعض الحيوانات (أو ظنت أنها تذكرت) أن الوصية السادسة قالت "يجب ألا يقتل حيوان حيواناً آخر.

ورغم أن أحداً من الحيوانات لم يجرؤ على ذكر ذلك على مسمع من الخنازير أو الكلاب فقد شعرت الحيوانات أن القتل لم يتوافق مع هذه الوصية فسألت كلوفر بينجامين أن يقرأ لها الوصية السادسة. وعندما قال بينجامين أنه يرفض أن يتدخل في السياسة أحضرت ميورييل التي قرأت لها الوصية:

"يجب ألا يقتل حيوان حيواناً آخر بدون سبب"

لقد غابت الكلمتان الأخيرتان عن ذاكرة الحيوانات بطريقة ما. ولكنهم وجدوا أن الوصية لم تخالف، إذ الخيانة كانت سبباً كافياً لقتل الخونة الذين اتفقوا مع سنوبول.

وعملت الحيوانات خلال تلك السنة بنشاط أكثر من السنة السابقة. فبناء جدران الطاحونة بسماكة مضاعفة وإنهاء ذلك في الوقت المحدد بالإضافة إلى العمل العادي في المزرعة ـ كل ذلك تطلب جهداً عظيماً. ففي بعض الأحيان بدا للحيوانات أنهم يشتغلون ساعات أطول من ساعات عهد

جونز وأن غذاءهم لم يصبح أجود.

في صباح الآحاد كان سكويلر يظهر وبيده قائمة طويلة مكتوبة ويقرأ للحيوانات قوائم أرقام تبرهن أن الانتاج لكل نوع من أنواع الغذاء قد ازداد بنسبة ٢٠٠٪ ، ٣٠٠٪ ، أو ٥٠٠٪ حسب الأحوال. ولم ترَ الحيوانات أي سبب يمنعهم من تصديقه وخاصة لأنهم لم يعودوا يذكروا بوضوح الأحوال التي سادت قبل الثورة. ومع ذلك ففي بعض الأيام كانوا يتوقون لطعام أكثر وأرقام أقل. أصبح سكويلر أو أي خنزير آخر يتلو جميع الأوامر لأن نابليون لم يعد يظهر في المجتمع أكثر من مرتين في الشهر، وعندما يظهر كانت تظهر معه (بالإضافة إلى حاشيته من الكلاب) ديك أسود يتقدمه ويقوم بوظيفة الصائح والمنبه قبل أن يتكلم نابليون. وقيل أن نابليون يقطن شقة خاصة من البيت ويتناول طعامه وحيداً متخذاً كلبين خدماً له ومستعملاً أفخر الأواني التي كانت مسز جونز تحفظها في الخزانة الزجاجية في الصالون. وأذيع أيضاً أن البندقية ستطلق يوم عيد ميلاده بالإضافة إلى المناسبتين الأخريين. واصبح الجميع لا يذكرونه كنابليون وإنما يقولون قائدنا الرفيق نابليون كما اخترع له الخنازير القاباً كثيرة أخرى كأبي كل الحيوانات، مخيف الإنسانية، حامي الأغنام، صديق الأوز وغيرها. وأخذ سكويلر والدموع تنهمر على خديه يتكلم عن حكمة نابليون وطيبة قلبه والحب العميق الذي يكنه للحيوانات في كل مكان وبصورة خاصة الحيوانات البائسة التي لا تزال تعيش في الجهل والعبودية في المزارع الأخرى، كما عُزي إلى نابليون الفضل عند إنجاز كل مشروع وتحقيق كل فلاح. وكثيراً ما سمعت دجاجة تهمس لأخرى" لقد وضعت خمس بيضات في ستة أيام تحت توجيه قائدنا نابليون". أو بقرتان تنعمان بشربة من البركة: "شكراً لقيادة الرفيق نابليون فلكم يبدو الماء عذباً!" ولقد عبّر

عن هذا الشعور العام في المزرعة القصيدة التي نظمها مينيمس تحت عنوان "الرفيق نابليون" وتقرأ كالتالي:

يا رفيق الأيتام

ويا منبع السعادة.

ويا ملك الجود

إن روحي تحترق شوقاً عندما أحدق في عينك الهادئة الأمّارة

إنك كالشمس في السماء أيها الرفيق نابليون

إنك تعطي كل

ما تحب المخلوقات

من ملء المعدة بالطعام وفرش الأرض بالقش النظيف

إن كل حيوان - صغيراً أم كبيراً

ينام آمناً في مزربه

لأنك ترعى الجميع أيها الرفيق نابليون

لو كان عندي رضيع

لتعلم كيف يكون مخلصاً لك

قبل أن يصبح بحجم الزجاجة أو الدولاب

يجب أن تكون أولى صرخاته: -

أيها الرفيق نابليون

لقد ابتهج نابليون لهذه القصيدة وأوصى بنقشها على جدار الأصطبل الكبير (مقابل الوصايا السبع) وفوقها وضعت صورة نابليون الجانبية التي

رسمها سكويلر بالأبيض.

وفي هذه الفترة بدأ نابليون (بواسطة هويمبر) مفاوضات صعبة مع فريدريك وبيلكينجتون إذ أن كومة الخشب لم يتم بيعها بعد. فلقد كان فريدريك أكثر شوقاً للحصول عليها ولكنه لم يدفع ثمناً معقولاً. وعندها تجددت الاشاعات القائلة بأن فريدريك لا يزال يتآمر مع رجاله من اجل مهاجمة مزرعة الحيوان وهدم الطاحونة التي أثار بناؤها غيرة قاتلة عنده، كما أن سنوبول لا زال متوارياً في مزرعته. ولقد أفزعت الحيوانات حين سمعت (في منتصف فصل الصيف) أن ثلاثة دجاجات تقدمت واعترفت بالتآمر على حياة نابليون بإيحاء من سنوبول لقد قتلت الدجاجات في الحال واتخذت تدابير جديدة لحماية نابليون، فأخذت أربعة كلاب تحرسه في الليل ـ واحد على كل زاوية من زوايا فراشه ـ كما أخذ خنزير صغير يسمى بينكآي يذوق الطعام الذي يقدم قبل أن يتناوله نابليون حتى لا يسممه أحد.

وفي نفس الوقت قيل أن نابليون قرر أن يبيع كومة الخشب إلى مستر بيلكينجتون وأن يعقد بعض الاتفاقات لتبادل بعض المنتجات بين مزرعة الحيوان وفوكسوود. ورغم أن العلاقات بين نابليون ومستر بيلكينجتون كانت تؤمن بواسطة مستر هويمبر إلا أنها كانت تقريباً طيبة. فالحيوانات لم تثق بمستر بيلكينجتون كإنسان إلا أنهم فضلوه على فريدريك الذي ابغضوه وخافوا منه في آن واحد. ومع مضي الصيف قارب بناء الطاحونة على الانتهاء وازدادت معه إشاعة الهجوم المرتقب. قيل أن فريدريك عازم على الهجوم مع عشرين رجلاً مسلحين بالبنادق بعد أن رشا الحاكم والشرطة كي لا يثيروا أي متاعب له في حال حصوله على مزرعة الحيوان بالقوة. وبالإضافة إلى كل ذلك فقد نشرت قصص عديدة من بينتشفيلد حول

الظلم الذي يلحقه فريدريك بحيوانات مزرعته ـ لقد جلد الحصان العجوز حتى الموت وأمات بقراته جوعاً كما قتل أحد الكلاب برميه في الفرن وسلّى نفسه في المساء بأن جعل الديكة تقتل وهي تحمل الشظايا والأمواس وأخذ دم الحيوانات يغلي من شدة الغضب عند سماعها ما حدث لرفاقها كما أنها كانت تطالب بعض الأحيان بأن يسمح لها بمهاجمة مزرعة بينتشفيلد وطرد الآدميين وتحرير الحيوانات لولا أن سكويلر نصحهم أن يتجنبوا الأعمال الطائشة ويثقوا بحكمة نابليون. وهكذا بقي الشعور العدائي ضد فريدريك عارماً. وفي أحد أيام الآحاد ظهر نابليون وشرح للحيوانات بأنه لم يفكر أبداً ببيع كومة الأخشاب لفريدريك وقال أنه يعتبر التعامل مع أشقياء من هذا النوع مساساً بكرامته وأنه أمر الحمامات (التي لا زالت تنشر أنباء الثورة) أن تكف عن الهبوط في مزرعة فوكسوود وأن تغيّر شعار "الموت للإنسانية" إلى شعار "الموت لفريدريك". وفي أواخر الصيف كشفَ النقاب عن مؤامرة أخرى من مؤامرات سنوبول. لقد مزج خلال إحدى زياراته الليلية بذور الأعشاب الضارة مع القمح مما جعل الأعشاب الضارة تنبت بكثرة في حقول القمح ـ اعترفت بهذا إحدى الاوزات إلى سكويلر وانتحرت بابتلاع بعض التوت السام، وعلمت الحيوانات أيضاً أن سنوبول لم يمنح أبداً ـ بعكس ما راج بين الحيوانات ـ ميدالية "بطل الحيوان ـ درجة أولى" إنما مجرد إشاعة ـ روجها سنوبول بعد معركة زريبة الأبقار. لم يمنح أي وسام وإنما أنّب للجبن الذي أظهره في المعركة. ومرة أخرى استمعت بعض الحيوانات إلى هذه الحقائق بحيرة ولكن سكويلر استطاع أن يقنعهم بأن ذاكراتهم كانت خاطئة.

وفي الخريف وبعد جهد مضن انتهى بناء الطاحونة وحصاد الحقول معاً، ولم يبق إلا تركيب الآلات التي كان هويمبر يفاوض لشرائها. لقد انتهى بناء

الطاحونة في نفس الموعد رغم كل الصعوبات - رغم جهل الحيوانات والأدوات البدائية المستعملة. سوء الحظ، وخيانة سنوبول. ودارت الحيوانات حول تحفتهم الرائعة مرات عديدة بكل فخر واعتزاز، وقد بدت لهم أروع من البناء الأول، ولا شيء سوى المتفجرات القوية يستطيع أن يهدمها الآن لسماكة جدرانها المضاعفة. وعندما فكروا في الجهد المضني الذي بذلوه والمصاعب التي ذللوها والفرق الشاسع الذي سينتج بعد أن تدير الأشرعة المولدات عندما فكروا بكل ذلك بارحهم التعب وراحوا يمرحون حول البناء. ويطلقون صيحات النصر. وأتى نابليون بصحبة الكلاب والديك ليتفقد البناء وهنّأ الحيوانات شخصياً على هذه المأثرة وصرح بأن الطاحونة سميت طاحونة نابليون.

بعد مضي يومين دعيت الحيوانات إلى الاجتماع في الاصطبل الكبير وقد أخرستهم الدهشة عندما صرح نابليون بأنه باع كومة الخشب إلى فريدريك وأن عربات فريدريك ستصل في اليوم التالي لنقلها. خلال مدة صداقة نابليون وبيلكينجتون الظاهرية كان نابليون يعقد اتفاقات سرية مع فريدريك وهكذا قطعت كل العلاقات مع مزرعة فوكسوود كما تبادل الطرفان المذكرات العدائية، وأخطرت الحمامات بتجنب مزرعة بينتشفيلد وتغيير شعار "الموت لفريدريك" إلى شعار "الموت لبيلكينجتون". وفي نفس الوقت طمأن نابليون الحيوانات أن إشاعات خطر الهجوم القريب على مزرعة الحيوان غير صحيحة وأن الأساطير حول ظلم فريدريك لحيوانات مزرعته إنما هي مبالغات مغلوطة وصادرة عن سنوبول وعملائه. إن سنوبول نفسه لم يكن يختبئ في مزرعة بينتشفيلد وفي الحقيقة لم يزر هذه المزرعة في حياته كلها - إنه - على العكس يعيش مرفهاً في مزرعة فوكسوود كما عاش منذ هروبه . وسرت الحيوانات لمهارة نابليون وحذقه، فبتظاهره

الصداقة لبيلكينجتون أجبر فريدريك على أن يرفع ثمن الخشب مبلغ /١٢/ جنيهاً. وقال سكويلر أن نابليون قد أقام دليلاً قاطعاً على حكمته حين لم يثق بأحد حتى فريدريك نفسه الذي أراد أن يدفع ثمن الخشب شيكاً ـ الذي بدا قطعة من الورق مكتوب عليها وعد بالدفع ـ ولكن نابليون بذكائه أصر على أن يكون الدفع نقداً وقبل التسليم والمبلغ الذي دفعه فريدريك يعتبر كافياً لشراء الآلات للطاحونة. وحينئذ نقلت العربات الخشب بسرعة كبيرة، وعندما انتهت من نقله، دعيت الحيوانات إلى اجتماع آخر في الاصطبل الكبير لفحص الأوراق المالية التي دفعها فريدريك إذ وقف نابليون مرتدياً ميداليته وهو يبتسم والأوراق المالية إلى جانبه مكدسة في صحن خزفي حيث مرت الحيوانات وحدقت فيها. أما بوكسر فقد مدّ منخاره ليشمها مما جعل الأوراق تهتز.

وبعد ثلاثة أيام سمع الجميع ضجة عالية. لقد شاهدوا هويمبر شاحب اللون راكباً دراجته التي تركها في ساحة المزرعة وهرع إلى البيت. وبعدها سمعوا صيحات الغضب تتعالى من شقة نابليون وانتقلت الأخبار في المزرعة بسرعة البرق: ـ الأوراق المالية مزورة وهكذا حصل فريدريك على الأخشاب بدون مقابل.

ودعا نابليون الحيوانات إلى اجتماع عاجل وأصدر حكمه بالاعدام على فريدريك فقال: ـ عند القبض عليه يجب أن نرمي به حياً في الماء الغالي. كما أنذرهم بأن يتوقعوا أسوأ الاحتمالات بعد هذه الخيانة. الآن سيقوم فريدريك ورجاله بهجومهم المنتظر في أي لحظة، لذلك وجبت حراسة كل مداخل المزرعة وإرسال أربع حمامات تحمل رسائل ودية إلى فوكسوود على أمل إعادة العلاقات الطيبة مع بيلكينجتون. وأتى الهجوم في صباح اليوم التالي. فعندما كانت الحيوانات تتناول فطورها هرع الحرس ينذرون أن

فريدريك وأتباعه قد اقتحموا خمس بوابات مقفلة. وبكل جرأة اندفعت الحيوانات لمقابلتهم غير أنهم لم يحققوا نصراً سهلاً كالذي حققوه في معركة زريبة البقر.

فالمهاجمون كانوا حوالي خمسة عشر رجلاً مسلحين بست بنادق فيما بينهم وأخذوا يطلقون النيران عندما اصبحوا على مسافة /١٥/ ياردة. ولم تستطع الحيوانات أن تواجه الانفجارات المخيفة ولا الرصاصات المحرقة ورغم جهود نابليون وبوكسر لجمع شملهم فقد تراجعت الحيوانات، بعد أن جرح عدد كبير منها. لقد التجأوا إلى أبنية المزرعة وأطلوا بكل حذر من خلال الشقوق. واحتل العدو المرعى الكبير بما في ذلك طاحونة الهواء، ولفترة قصيرة بدا نابليون نفسه مشلول الفكر والحركة فأخذ يزرع الغرفة جيئة وذهاباً بذنب متصلب مختلج. وأخذ الجميع يتجهون بأنظارهم تجاه مزرعة فوكسوود، فإن أتى بيلكينجتون لنصرتهم فلا زال هناك أمل بربح المعركة. ولكن في هذه اللحظة عادت الحمامات الأربعة التي طارت إلى فوكسوود في اليوم الفائت وكانت إحدى الحمامات تحمل قطعة من الورق كتب عليها بقلم الرصاص: إنكم تستحقون ذلك. في هذه الاثناء كان فريدريك ورجاله يرابطون حول طاحونة الهواء وكانت الحيوانات تراقبهم من مخابئها وتتوجس خيفة عندما أحضر رجلان مخلاً ومطرقة كبيرة بغية هدم الطاحونة ثم صاح نابليون: ـ مستحيل. إن سماكة الجدران تحول دون ذلك، ولن يستطيعوا أن يهدوها في أسبوع. إلى الأمام أيها الرفاق. غير أن بينجامين كان يراقب حركات الرجلين بكل انتباه، فالرجلان قد حفرا حفرة صغيرة في أساس الطاحونة، وببطء وبنوع من التسلية نكس بينجامين خطمه وقال: ـ لقد حسبت ذلك. ألا ترون أنهم سيضعون باروداً في الحفرة. وانتظرت الحيوانات بمزيد من الهلع. وكان من المستحيل ألا تخاطر

الحيوانات في الخروج من مخابئها في أبنية المزرعة وما هي إلا دقائق حتى شوهد الرجال يجرون في كل اتجاه وسمع الجميع ضجة عالية ـ فحلقت الحمامات في الجو وارتمت كل الحيوانات على الأرض وأخفت وجوهها ما عدا نابليون. وعندما انتصبت الحيوانات ثانية شاهدوا سحابة سوداء من الدخان فوق موضع الطاحونة ـ وعندما أزاح النسيم هذه السحابة وجدت الحيوانات أن الطاحونة قد اختفت من الوجود. وهذا المنظر أعاد شجاعة الحيوانات إليها ـ لقد أغرق غضب الحيوانات لهذا العمل الحقير الشنيع خوفها ويأسها الذي اعتراها منذ ثوان. وانطلقت صيحة الثأر في الهواء وبدون أن ينتظروا الأوامر هجموا صفاً واحداً ضد العدو. ولم يكترثوا هذه المرة بالرصاصات الوحشية التي انهمرت فوقهم كالمطر، وكانت المعركة قاسية ومريرة ـ فالرجال دأبوا على إطلاق النار وعندما اقتربت الحيوانات انهالوا عليها بالعصي والنعال. وذهب ضحية المعركة بقرة وثلاث نعاج وأوزتان ـ وحتى نابليون نفسه (الذي كان يدير المعركة من الخلف) فقد نهاية ذنبه برصاصة طائشة. ولكن المهاجمين أنفسهم لم ينجوا من الخسائر. فقد كسرت ضربات من حافر بوكسر رؤوس ثلاثة رجال، وأدمى قرن إحدى البقرات معدة أحدهم، كما مزقت جيسي وبلو بلل سروال آخر. وعندما ظهرت الكلاب التسعة فجأة (حسب أوامر نابليون بأن يتسللوا خلف السياج) بجانب الرجال تعوي بشراسة دب الرعب في قلوبهم وحسبوا أنهم أصبحوا محاصرين من كل جانب وأمر فريدريك رجاله بأن ينسحبوا قبل فوات الأوان، وفي لحظات كان العدو الجبان يهرب طلباً للنجاة. وطاردتهم الحيوانات إلى أسفل الحقل واصابتهم ببعض الرفسات عندما حاولوا فتح ثغرة في السياج. لقد ربحت الحيوانات المعركة ولكنها كانت منهكة القوى ودمها يقطر من كل ناحية من نواحي أجسامها.

وأخذت الحيوانات تعرج عائدة إلى الأبنية ببطء شديد وأثار منظر جثث الضحايا من رفاقهم الدمع في مآقيهم ووقفوا في حزن عميق حيث بنوا الطاحونة. نعم لقد اختفت الطاحونة إلى الأبد. لقد ذهب عملهم المتواصل المضني هباء، فلقد ذهب قسم من الأساس أيضاً.

ولو أرادوا إعادة بنائها لما تمكنوا أن يستعملوا الحجارة التي سقطت كما في السابق ـ فالحجارة نفسها اختفت هذه المرة، وبعثرتها قوة الانفجار إلى بعد مئات الياردات ـ فالحقيقة أن الطاحونة أضحت كأن لم تكن أبداً.

وعندما اقتربوا من أبنية المزرعة أتى سكويلر نحوهم (وكان قد اختفى بدون أي عذر أثناء القتال) وهو يهز ذيله ويشع بالرضا. وسمع الجميع صوت البندقية من جهة أبنية المزرعة فسأل بوكسر: ـ

لماذا نطلق النار؟ فأجاب سكويلر: احتفالاً بالنصر. فقال بوكسر متسائلاً: أي نصر؟ إذ كان الدم يسيل من ركبتيه كما أنه اضاع إحدى حَذُواته وهشم أحد سنابكه وسكنت بضع رصاصات في ساقه الخلفية.

ـ أي نصر أيها الرفيق؟ ألم نطرد العدو عن أرضنا ـ أرض مزرعة الحيوان المقدسة؟

ـ ولكنهم هدموا الطاحونة التي عملنا في بنائها لمدة سنتين.

ـ وهل يهمنا ذلك؟ سنبني طاحونة هواء أخرى، بل سنبني ست طواحين هواء إذا أردنا. إنك لا تقدر، أيها الرفيق، العمل الجبار الذي قمنا به. كان العدو يحتل هذه الأرض التي نقف عليها. والآن (وشكراً لقيادة الرفيق نابليون) لقد استعدنا كل شبر منها.

ـ إذن لقد استعدنا ما كنا نملك من قبل.

ـ وهذا هو انتصارنا.

وعادت الحيوانات تخرج إلى الساحة. وأخذت الرصاصات تحت جلد بوكسر تؤلمه كثيراً. لقد تراءى له الجهد العظيم الذي يتطلبه اعادة بناء طاحونة الهواء بادئين من الأساس كما أنه تقبل هذا العمل على الأقل في مخيلته. وللمرة الأولى خطر له أنه يبلغ الحادية عشرة من العمر وأن عضلاته لم تعد كما كانت في السابق.

وعندما رأت الحيوانات العلم الأخضر يرفرف، وسمعوا البندقية تطلق سبع مرات، واستمعوا إلى الخطاب الذي ألقاه نابليون مهنئاً إياهم على سلوكهم، عندها بدا للحيوانات أنها اكتسبت نصراً حقيقياً. ثم تم دفن الحيوانات التي فقدت حياتها في المعركة بصورة رسمية، فجرّ بوكسر وكلوفر العربة التي استعملت كنعش كما مشى نابليون على رأس المشيّعين. ثم تلا ذلك أغان جديدة وخطب أخرى وإطلاق المزيد من الطلقات ووزعت هدية خاصة من التفاح على الحيوانات وأوقيتان من القمح لكل طير وثلاث قطع من البسكويت لكل كلب. وأذيع أنه تقرر أن تُسمى المعركة بمعركة طاحونة الهواء وأن نابليون قد أمر بإحداث مدالية جديدة - مدالية اللواء الاخضر - ومنحها لنفسه. وهكذا نسي الجميع قضية الأوراق المالية المزورة في غمار الاحتفالات.

وبعد بضعة ايام وجدت الخنازير صندوقاً من الويسكي في قبو البيت وفي تلك الليلة سمعت الحيوانات غناءً عالياً من البيت كما دهشت حينما سمعت نشيد "يا حيوانات انجلترا" يتخلل هذا الغناء ويمتزج به. وحوالي التاسعة والنصف رأوا نابليون يخرج من البيت مرتدياً قبعة مستر جونز الرسمية ويجري مسرعاً في بهو البيت ثم يعود مسرعاً إلى البيت. وفي الصباح غشّى السكون البيت، وحوالي التاسعة صباحاً ظهر سكويلر وهو يمشي ببطء وخور، كما كانت عيناه هامدتين وذيله يرتفع بكل كسل فوق

جسمه وعلائم المرض الخطير بادية عليه. وعندما جمع الحيوانات قال لهم أن لديه بعض الأنباء المخيفة: - إن الرفيق نابليون يحتضر وانطلقت صرخات الأسى من كل جانب. ثم فرشت الحيوانات، باحة المنزل بالقش وأخذت تمشي فوقها بكل خفة وحذر. وأخذ أحدهم يسائل الآخر (والدموع تملأ عينيه) ماذا عساهم فاعلون إذا اختطف الموت الرفيق نابليون من بينهم. وراحت الشائعات بأن سنوبول قد وضع السمّ في طعام نابليون وفي الحادية عشرة ظهر سكويلر ليدلي بتصريح آخر: لقد أوصى الرفيق نابليون بأن عقوبة شرب الخمر يجب أن تكون الاعدام.

وفي المساء تحسنت حالة نابليون، واستطاع سكويلر أن يخبرهم في صباح اليوم التالي أنه يسترد صحته بسرعة، وفي مساء ذلك اليوم عاد نابليون إلى العمل، وعلم في اليوم الثالث أنه أمر مستر هويمبر بأن يبتاع له من مدينة ويلينجدون بعض الكتب حول صنع الخمور.

وبعد أسبوع أصدر نابليون أوامره في أن المرتع الصغير (خلف البستان، والذي كانت النية متجهة إلى جعله مرعى للحيوانات المتقاعدة) تجب حراثته. وأذيع أن المرتع يجب أن يعاد تجديد زرعه، ولكن الحيوانات سرعان ما علمت أن نابليون أراد أن يزرعه شعيراً.

وفي هذا الوقت حدث مالم يستطع أحد أن يفهمه - ففي الساعة الحادية عشرة من إحدى الليالي سمع الجميع اصطداماً في باحة المزرعة، جعل الحيوانات تهرول من زرائبها كانت الليلة مقمرة مما جعلهم يرون سلماً مكسوراً في آخر حائط الاصطبل الكبير ويرون أيضاً سكويلر (في ذهول آنيّ) منبطحاً بجانب السلم، وبجانبه فانوس مضاء وفرشاة كتابة ووعاء دهان. وفجأة تحلقت الكلاب حول سكويلر وقادوه إلى البيت حين استطاع المشي. ولم يستطع أحد الحيوانات تفسير ذلك ما عدا بينجامين الذي نكس

رأسه في هيئة العارف بدون أن ينبس ببنت شفة.

وبعد بضعة ايام وجدت مسيوريللى وهي تقرأ الوصايا السبع أن الحيوانات تذكر إحدى هذه الوصايا بغير صيغتها الأصلية. لقد فكرت الحيوانات أن الوصية الخامسة تقول: -

"يمنع الحيوانات من شرب المسكرات".

غير أن الحيوانات بدت وكأنها نسيت كلمتين حيث أن الوصية نفسها تقول: -

"يمنع الحيوانات من شرب المسكرات لدرجة الإفراط".

الفصل التاسع

الخيانة

ولم تشف سنبك بوكسر إلا بعد مضي فترة طويلة من الزمن، وفي هذه الأثناء بدأت الحيوانات إعادة بناء الطاحونة في اليوم التالي لنهاية احتفالات النصر مما جعل بوكسر يرفض أن يستريح ولو يوماً واحداً وحاول مخلصاً ألا يجعل الآخرين يشعرون بألمه. ولكنه كان يعترف لكلوفر في المساء بأن سنبكه لا زال يؤلمه، وكانت كلوفر تعالج سنبك بوكسر باللصقات النباتية التي حضرتها بالمضغ: كما أنها بمساعدة بينجامين كانت تحث بوكسر على أن يقلل من عمله، فقالت له: ـ "إن رئتي الحصان لا تعمران إلى الأبد"، غير أن بوكسر لم يسمع كلامها. بل أجاب بأن له طموحاً واحداً في الحياة وهو أن يرى الطاحونة وقد أعيد بناؤها قبل أن يتقاعد ففي البدء، عند تشريع قوانين مزرعة الحيوان، جعل سن التقاعد /١٢/ سنة للخيل والخنازير و /١٤/ سنة للأبقار و/٩/ للكلاب و/٧/ للأغنام و/٥/ للدجاج والأوز. كما منحت هذه القوانين تقاعداً سخياً. ولما لم يتقاعد أحد من الحيوانات حتى الآن فلقد بحثت الحيوانات هذا الموضوع كثيراً، وبما أن المرتع الصغير قد زرع شعيراً، فقد أشيع أن قسماً من المرعى الكبير ستسور وتجعل مرعى للحيوانات المتقاعدة وقد قيل أن تقاعدية الخيل ستكون /٥/ أرطال من القمح يوميّاً وفي الشتاء /١٥/ رطل حشيش يضاف إليها جزرة أو تفاحة أيام العطل والأعياد. وكان عيد ميلاد بوكسر الثاني عشر يصادف في

أواخر صيف العام القادم.

ولكن الحياة كانت قاسية ـ فالشتاء أبرد من سابقه، والغذاء أقل، إذ أن المخصصات الغذائية كانت قد انقصت مرة ثانية ما عدا مخصصات الكلاب والخنازير. ولقد شرح سكويلر أن المساواة المطلقة في هذا المجال تعاكس مبدأ الحيوانية، ولم يجد أية صعوبة حين شرح لبقية الحيوانات أنه ليس هناك اي نقص حقيقي في الأغذية رغم أن هناك نقصاً ظاهراً. وفي الوقت الحاضر رأى البعض أنه من الضروري أن يكون هناك تعديل في المخصصات الغذائية (وكان سكويلر يتكلم دائماً عن التعديل في المخصصات وليس عن الإنقاص) ورغم هذا التعديل فإن المخصصات ضخمة جداً إذا قورنت بالتي تلقتها الحيوانات أيام المستر جونز. وعند قراءة الأرقام برهن لهم بالتفصيل أن لديهم الآن من الشوفان والحشيش واللفت أكثر من السابق، وساعات العمل أقل، ومياه الشرب أجود، وهم يعمرون أكثر، ونسبة الصغار التي تعيش الآن أكبر، وأنّ لديهم قشاً أكثر وبراغيث أقل في الاصطبلات ولقد صدقت الحيوانات كل كلمة من التقرير وخاصة أن أيام جونز قد غابت جزئياً من ذاكرتهم. لا يستطع أحد أن ينكر أن حياتهم قاسية وصعبة وأنهم كثيراً ما وجدوا أنفسهم يتضورون جوعاً ويرتجفون من البرد ويعملون طيلة فترة يقظتهم ولكنه من المؤكد أن الأحوال كانت أسوأ من ذلك في السابق. وبالإضافة فإنهم كانوا عبيداً واصبحوا الآن أحراراً وهذا فرق عظيم جداً كما أوضح سكويلر.

والآن ازداد العدد في المزرعة، ففي الخريف وضعت أربع خنزيرات / ٣١/ خنوّصاً ملوناً، ولما كان نابليون هوالخنزير الفحل الوحيد في المزرعة فليس من الصعب معرفة الوالد وعندما اشترى نابليون الخشب والآجر أعلن عن عزمه على بناء مدرسة في حديقة المزرعة ليتعلم صغار الخنازير. وحتى

يتم بناء المدرسة أخذ نابليون يعلمهم في مطبخ المزرعة، ولم يشجعهم على الاختلاط ببقية حيوانات المزرعة بل جعلهم يقومون بتمريناتهم في حديقة المطبخ.

وفي هذه الفترة سن نابليون قاعدة جديدة وهي أنه في حال تلاقي أحد الخنازير مع الحيوانات الأخرى في الطريق يجب على الحيوان أن يفسح الطريق أمام الخنزير، كما أجيز للخنازير فقط أن يزينوا ذيولهم بشريطة خضراء أيام الآحاد.

وكان الموسم جيداً هذا العام، ولكن المزرعة لا زالت بحاجة إلى المال لشراء الآجر والخشب لبناء المدرسة. ولتوفير ثمن الآلات لطاحونة الهواء، ولشراء زيت المصابيح والشموع في المزرعة، ولتبديل آلات وأدوات المزرعة من المسامير والخيطان والأسلاك، ولشراء البسكويت للكلاب والسكر لمائدة نابليون (الذي منع بقية الخنازير من تناوله بحجة أن تناول السكر يجعلهم بدينين).

ولهذا بيع قسم من الحشيش ومحصول البطاطا، زادت كمية البيض في العقد إلى /٦٠٠/ في الأسبوع مما ترك فقط عدداً كافياً من البيض ليحفظ عدد الدجاجات على حاله في المزرعة.

وقد خفضت كمية المخصصات الغذائية مرة في شهر كانون الثاني ومرة أخرى في شهر شباط، كما منعت إضاءة الفوانيس في الاصطبلات اقتصاداً للزيت، غير أن معيشة الخنازير بدت مرفهة وبدا بعضهم يضيف إلى وزنه الكثير.

وبعد ظهر أحد الأيام في أواخر شباط سرت رائحة قوية تهب عبر ساحة المزرعة من المخمرة الصغيرة، التي اهملت في أيام المستر جونز، والواقعة

خلف المطبخ. وعرف الجميع أنها رائحة الشعير المطبوخ، وأخذوا يعدون أنفسهم لتناول وجبة من الجريشة في ذلك المساء، وخاب الأمل وأعلن يوم الأحد التالي أن الخنازير ستحتفظ بالشعير لغذائها، وكان الحقل الواقع خلف البستان قد زرع بالشعير، وسرعان ما تسربت الأنباء بأن كل خنزير أصبح يتناول نصف لتر من البيرة كل يوم ما عدا نابليون الذي تناول ليترين في السلطانية الفاخرة.

والكثير من مصاعب الحياة هذه الأيام ناتج عن تعقيد هذه الحياة الحضارية الذي أوجب المزيد من الأغاني والخطب والاحتفالات لقد أمر نابليون بإجراء ما أسماه بالتظاهر العضوي الأسبوعي للاحتفال بالنضال والانتصارات في مزرعة الحيوان. ففي الوقت المعين تترك الحيوانات العمل ويسيرون حول المزرعة بتشكيلات عسكرية تقودها الخنازير وتتلوها الخيول، فالأبقار، فالأغنام فالدواجن تحت إشراف الكلاب. وكان يتصدر هذه التظاهرات ديك نابليون الأسود بينما حمل بوكسر وكلوفر لواء أخضر رسم عليه الحافر والقرن وعبارة عاش الرفيق نابليون. وتلا ذلك إلقاء القصائد التي تمدح نابليون ثم ألقى سكويلر خطاباً يذكر فيه أحدث الأرقام في زيادة انتاج المواد الغذائية، وفي بعض المناسبات أطلق الرصاص من البندقية. وكانت الأغنام أكبر مجندي التظاهرات العضوية، وإذا ما تبرم أحد الحيوانات (كما فعل بعضهم في غياب الكلاب والخنازير) بأن هذه التظاهرات إنما هي مضيعة للوقت ووقوف طويل في البرد القارس، كانت الأغنام تسكته بثغاء هائل:

"كل ما يمشي على قدمين فهو عدو وما مشى على أربعة فو صديق".

وعلى وجه العموم استمتعت الحيوانات بهذه الاحتفالات، ووجدوا أن التذكرة بأنهم حقيقة أسياد في أرضهم وأنهم يعملون لمصلحتهم وجدوها

راحة وسلوى. ولقد أنستهم هذه الاغاني والاستعراضات وأرقام سكويلر وصوت الطلقات وصياح الديك ورفرفة العلم كل هذا انساهم جوعهم بعض الوقت على الأقل. وفي نيسان أعلن النظام الجمهوري في مزرعة الحيوان واصبح من الواجب انتخاب رئيس للجمهورية، ولما لم يكن هناك من مرشحين عدا نابليون. فلقد انتخب بالاجماع. وفي نفس اليوم أذيع عن اكتشاف وثائق جديدة تثبت تآمر سنوبول مع مستر جونز، وتبين الآن أن سنوبول لم يحاول فقط أن يخسر معركة زريبة الأبقار بالخدعة كما تصورت جميع الحيوانات ولكنه كان يحارب علناً مع المستر جونز.

وفي الحقيقة كان سنوبول يقود الآدميين بنفسه، وهجم صارخاً "عاشت الانسانية"، وأما بشأن الجروح في مؤخرته التي تذكرها بعض الحيوانات) فقد أحدثتها أنياب نابليون.

وفي منتصف الصيف ظهر الحدأة موسى في المزرعة بعد غياب سنين عديدة، وكان لا يزال يحبذ البطالة على العمل ولا يزال يتكلم بنفس اللهجة حول جبال السكاكر ـ وكثيراً ما حط على أحد الجذوع مرفرفاً بجناحيه ومثرثراً لبضعة ساعات إذا ما وجد أذنا صاغية: ـ

"هناك أيها الرفاق! هناك في أعالي السماء، وفي الطرف الآخر من تلك السحابة السوداء التي نراها تقع جبال السكاكر حيث تجد الحيوانات البائسة التعيسة الراحة من العناء والتعب" وكثيراً ما ادعى أنه رأى حقول البرسيم الأبدية الخضرة حيث تنمو كسب بزر الكتان وقوالب السكر في الاسيجة، وقد صدقه الكثير من الحيوانات. لقد كانوا جائعين متعبين، ولقد استنتجوا أنه يجب أن يوجد هناك عالم أفضل، وأصعب معضلة واجهت الجميع هي تفسير رأي الخنازير في موسى وآرائه، إذ هزئوا بأساطيره حول موقع جبال السكاكر ولكنهم سمحوا له بالبقاء في المزرعة بدون أن يقوم بأي عمل

وأعطوه ربع ليتر من البيرة في اليوم.

وبعد أن شفي سنبك بوكسر تماماً أخذ يعمل بجد ونشاط، وفي الحقيقة عملت جميع الحيوانات كالعبيد خلال تلك السنة إذ بالإضافة إلى الاعمال العادية في المزرعة وإعادة بناء طاحونة الهواء وجب بناء المدرسة لتعليم صغار الخنازير والتي قرر أن تبدأ في آذار. وفي بعض الأحيان كانت ساعات العمل الطويلة وعدم كفاية الأغذية أكثر من أن تحتمل، غير أن بوكسر لم يتردد أبداً إذ لم يكن هناك أي دلائل على عدوله عن قراراه في القول أو العمل، ولكن مظهره قد تغير قليلاً فبهت شعره وهزلت خواصره، واعتقد الأخرون أن بوكسر سيعود إلى حالته الطبيعية في الربيع، وعاد الربيع بدون أن يعود بوكسر إلى سابق حالته، وفي بعض الأحيان عندما كان بوكسر يرفع الصخور الهائلة من أسفل المقلع إلى أعلاه بدا أنه لا شيء يثبت قوائمه غير قوة الإرادة ـ وفي هذه الظروف شاهد الجميع شفتيه تنطقان بالكلمات "سأشتغل بنشاط أكبر" بصوت خافت ومرة أخرى حذرته كلوفر وبينجامين كي يعتني بصحته ولكن بوكسر لم يصغ إلى تحذيراتهم إذ أن عيد ميلاده الثاني عشر أصبح قريباً ولم يكن همه سوى تكديس أكثر ما يمكن من الحجارة قبل تقاعده.

وفي ساعة متأخرة من مساء أحد الأيام أشيع في المزرعة أن مصيبة قد حلت ببوكسر عندما ذهب وحده إلى المقلع ليجر بعض الحجارة وأتت حمامتان بالخبر "لقد سقط بوكسر على جنبه ولا يستطيع النهوض". وهرعت الحيوانات إلى الهضبة حيث تقع الطاحونة وحيث وجدوا بوكسر ممدداً بين ذراعي العربة رقبته متطاولة ولا يستطيع أن يرفع رأسه ـ عيناه غاربتان وجانباه يتصببان عرقاً، والدم يسيل من فمه.

وركعت كلوفر إلى جانبه تسأل ـ "كيف أنت يا بوكسر؟".

فأجاب بوكسر بصوت ضعيف: - إن رئتي تؤلمني. ولكن ذلك لا يهم فإنكم الآن تستطيعون إتمام الطاحونة بدوني بعد أن رفعت مقداراً لا بأس به من الحجارة، ولم يبق لتقاعدي أكثر من شهر. إني - والحق يقال - كنت أتطلع بشغف إلى تقاعدي وبما أن بينجامين قد اصبح عجوزاً فربما سيتقاعد هو الآخر في القريب العاجل ويكون صديقاً مسلياً لي".

- "يجب أن ننشد المعونة حالاً. فليجر أحدكم ويخبر سكويلر بما حدث" وهرعت الحيوانات إلى المزرعة لتخبر سكويلر، ولم يبق إلى جانب بوكسر إلا كلوفر وبينجامين الذي قام بطرد الذباب عنه بذيله دون أن يتكلم. وبعد مضي ربع ساعة وصل سكويلر بادي العطف والتأثر وقال إن الرفيق نابليون قد تلقى بمزيد من الأسى ما حدث لأحد العمال المخلصين في المزرعة وأنه يتخذ الترتيبات لإرسال بوكسر للمعالجة في مستشفى ويليجدون. وتلقت الحيوانات هذه الأنباء بالكثير من عدم الارتياح إذ أنه لم يغادر أحد من الحيوانات المزرعة إلا سنوبول وموللي، ولم تكن الحيوانات مرتاحة لفكرة معالجة الآدميين لرفيقهم المريض والعناية به، ولكن سكويلر استطاع اقناعهم بسهولة بأنه من الأفضل أن يعالج بوكسر في المستشفى على يد الجراح البيطري. وبعد حوالي نصف ساعة عندما استرد بوكسر بعض قواه نهض بصعوبة فائقة وعرج عائداً إلى الأصطبل حيث هيأت له كلوفر وبينجامين فراشاً سميكاً من القش. وبقي بوكسر في الاصطبل لمدة يومين، بينما أرسل له الخنازير زجاجة كبيرة من الدواء القرنفلي اللون التي وجدوها في صيدلية الحمام، والتي أعطته كلوفر منها مرتين في اليوم بعد الطعام. وقد لزمت كلوفر جانبه في المساء بينما طرد بينجامين الذباب عنه. واعترف بوكسر بعدم أسفه لما حدث له فإذا شفي تماماً من مرضه فسيعيش لثلاث سنوات أخرى يقضيها براحة وأمان في زاوية المرعى الكبير وبدون

عمل للمرة الأولى في حياته، وقرر أن يقضي هذه الفترة في الدراسة وتعلم الحروف الهجائية الاثنين والعشرين الباقية التي لم يستطع حفظها حتى الآن. ولم تستطع كلوفر وبينجامين أن يبقوا مع بوكسر إلا في ساعات الفراغ، وعندما أتت العربة لتأخذه حوالي الظهر كان لوحده في الاصطبل. وبينما كانت الحيوانات تستأصل الأعشاب الضارة من حقول اللفت تحت إشراف أحد الخنازير شاهدوا بينجامين يجري بين أبنية المزرعة ينهق نهاقاً عالياً. وهذه هي المرّة الأولى التي تشاهد الحيوانات بينجامين يجري منفعلاً وهو يقول: -

تعالوا حالاً! إنهم يبعدون بوكسر" وبدون انتظار أوامر الخنزير جرت الحيوانات نحو أبنية المزرعة حيث وجدوا عربة كبيرة مغطاة يجرها جوادان وجانباها مغطّيان بالأحرف الكتابية وسائق خبيث يلبس قبعة رسمية ووجدوا اصطبل بوكسر فارغاً، فتجمهروا حول العربة ليودعوا بوكسر، وعندها صاح بينجامين وهو يتوثب حولهم ويضرب الأرض بحوافره الصغيرة: - أيها المجانين ألا ترون الكتابة على جانبي العربة؟ "فوقفت الحيوانات صامتة وبدأت ميوريلل تتهجى الكلمات ولكن بينجامين دفعها جانباً في وسط الصمت الرهيب وبدأ يقرأ: -

الفرد سيموندز. ذابح أحصنة وصانع غراء في ويلينجدون. تاجر جلود ولحوم حيوانية ملتزم اصطبلات هل تدركون معنى ذلك؟ إنهم يأخذون بوكسر إلى المسلخ. وهنا أطلقت الحيوانات صيحات رعب وخوف، وفي هذه اللحظة ضرب السائق جواديه بالسوط وخرجت العربة من الساحة بسرعة وتبعتها الحيوانات وهي تصيح بأعلى صوتها. وبينما أخذت العربة تسرع حاولت كلوفر أن تلحق بها دون جدوى، وما كان بوسعها إلا أن تصيح بأعلى صوتها: -

"بوكسر، بوكسر" وفي تلك اللحظة بدا وجه بوكسر وراء النافذة كما لو كان قد سمع الضجة في الخارج. ثم صاحت كلوفر "اهرب يا بوكسر بسرعة فإنهم يقودونك إلى الهلاك" وأخذت الحيوانات تردد الصيحة "اهرب يا بوكسر، اهرب" ولكن سرعة العربة تزايدت وبعدت عنهم، ولم يكن واضحاً ما إذا كان بوكسر قد أدرك ما قالت كلوفر، ولوحظ أن وجهه قد ابتعد عن النافذة وسمع الجميع صوت سنابك تدق داخل العربة وبوكسر يحاول الهرب. في الماضي لو أراد بوكسر الهروب لحطم جدران العربة بعدة رفسات، ولكن قوته مع الأسف قد غادرته وبعد بضع دقائق ضعف الصوت داخل العربة ثم توقف نهائياً. وفي لحظة يأس حاولت الحيوانات أن تستنصر الجوادين اللذين كانا يجران العربة وصاحت: - ايها الرفيقان، لا تأخذا أخاكما إلى موته" ولكن الحيوانين كانا على درجة فادحة من الجهل لايفهما استغاثة البقية ولم يفعلا أكثر من مجرد الاصغاء والجري. وفي آخر لحظة فكر أحدهم بمسابقة الجوادين وإغلاق البوابة الرئيسية ولكن بعد فوات الأوان إذ كان الجوادان يمران عبرها في تلك اللحظة ولم ير أحد بوكسر بعدها أبداً، إذ أذيع بعد ثلاثة أيام أنه مات في المستشفى في ويلنجدون رغم أن الأطباء بذلوا كل ما في وسعهم لانقاذه. وأتى سكويلر ليذيع هذا الخبر على الأخرين وقال أنه حضر ساعات بوكسر الأخيرة ثم قال وهو يمسح دموعه: - لقد كان من أكثر المناظر التي رأيتها في حياتي تأثيراً، لقد بقيت بجانب فراشه إلى النهاية. عندئذ حاول أن يتكلم، ولما لم يستطع الكلام همس في أذني أنه يأسف لأنه مات قبل أن يتم الطاحونة وأضاف إلى الأمام ايها الرفاق. إلى الأمام باسم الثورة. عاشت مزرعة الحيوان، وعاش الرفيق نابليون. ونابليون دائماً على حق. هذه هي كلماته الأخيرة أيها الرفاق. وهنا تغير منظر سكويلر إذ سكت فجأة والقى نظرات مريبة من طرف لآخر ثم

قال أنه تناهى إلى سمعه أن إشاعة معينة قد راجت عند نقل بوكسر إذ لاحظ بعض الحيوانات أنه كتب على العربة التي نقلت بوكسر "ذابح أحصنة" واستنتج أننا أرسلنا بوكسر إلى المسلخ أليس من الحماقة أن يستنتج اي حيوان ذلك؟ ألم يخبروا قائدنا المحبوب الرفيق نابليون، على وجه أحسن؟ لقد كانت العربة تخص المسلخ ولكن الجراح البيطري اشتراها مؤخراً ولم يمح الاسم القديم حتى الآن وهذا هو مصدر الخطأ. ولقد أثلج سماع هذه القصة صدور الحيوانات، وعندما تابع سكويلر اعطاء التفصيلات التصويرية حول نهاية بوكسر والعناية به والتكاليف الباهظة التي دفعها نابليون بدون أي تردد زالت شكوكهم وخفف من اسفهم لموت صديقهم المحبوب أنه على الأقل مات سعيداً.

وحضر نابليون نفسه اجتماع الأحد التالي، وأبن بوكسر بكلمة قصيرة حيث قال أنه لم يكن بالإمكان إحضار جثة صديقهم المحبوب لدفنها في المزرعة ولكنه أمر بصنع إكليل زهر كبير من الحديقة وأرسلها لتوضع على قبر بوكسر كما قررت الخنازير إقامة حفلة خاصة لإحياء ذكراه، وأنهى نابليون كلمته بشعاري بوكسر المفضلين: سأعمل بجهد أكبر، والرفيق نابليون مصيب دائماً" ونصح الحيوانات الأخرى بتبنيهما.

وفي اليوم المخصص للحفلة أتت عربة البقال إلى ساحة المزرعة وأحضرت سفطاً خشبياً. وفي تلك الليلة سُمع غناء صاخب وتلاه ما يشبه مشاجرة عنيفة وانتهت الحفلة بتحطيم زجاج البيت في حوالي الساعة الحادية عشرة وفي اليوم التالي لم يَصحُ أحد قبل الظهر وراجت الإشاعة في كل مكان أن الخنازير قد حصلوا على المال اللازم لشراء سفط آخر من زجاجات الويسكي.

الفصل العاشر

الصفقة

ومرت السنون وتتابعت الفصول، وانقضت حياة الحيوانات القصيرة، حتى أتى الوقت الذي لم يذكر أحد فيه العصر الذي سبق الثورة ماعدا كلوثر وبينجامين والحدأة موسى العجوز وعدد من الخنازير.

لقد ماتت موريل، بلوبل، وجسي وبينتشر وحتى جونز نفسه (الذي مات في مستشفى المدمنين على السكر) وقد نسي الجميع سنوبول، كما نسي معظم الحيوانات بوكسر ولم يذكره سوى الذين عرفوه. وأصبحت كلوفر فرساً عجوزاً ذات مفاصل مؤلمة وعينين يميلان إلى الإدماع المرضي ورغم أنها تجاوزت سن التقاعد بسنتين فلم تتح لها أو لأي حيوان آخر ممن وصلوا سن التقاعد أن تتقاعد وربما كان ذلك لأن موضوع اقتطاع زاوية من المرعى الكبير للحيوانات المتقاعدة بات نسياً منسياً.

أما نابليون فقد أصبح خنزيراً ناضجاً يزن ١٥٠ كغ، كما أصبح سكويلر سميناً جداً لدرجة أنه لا يستطيع أن يرى إلا بصعوبة، ولم يبق على حاله سوى بينجامين رغم أن الشيب قد تكاثر حول خطمه وأنه أصبح أكثر عبوساً وصمتاً منذ وفاة بوكسر.

وازداد سكان المزرعة ولكن الزيادة لم تكن بالمعدل الذي توقعه الجميع في السنين الأولى التي تلت الثورة، وولد الكثير من الحيوانات الذين لم تكن

الثورة بالنسبة إليهم سوى رواية مغمورة تتناقلها الألسن كما أضيف البعض من الذين لم يسمعوا حتى بذكر الثورة لقد عاشت ثلاثة أحصنة قوية نشيطة في المزرعة بالإضافةإلى كلوفر. ولم ينجح أحدهم بتعلم أكثر من الحرف الأول من الهجائية وقد تقبلوا كل ماحدثتهم به كلوفر عن الثورة ومبادئ الحيوانية ولكن من المشكوك فيه أنهم فهموا الكثير منها رغم أنهم كانوا يظهرون تجاهها حب الأبناء.

وكانت المزرعة أكثر ازدهاراً وتنظيماً وتوسعاً إذ ضم إليها حقلان اشترتها الحيوانات من مستر بيلكينجتون كما انتهى بناء الطاحونة في النهاية واشترت المزرعة حصّادة ورافعة حشيش وبضعة آلات أخرى. أما هويمبر فقد اشترى عربة خاصة.

ورغم انتهاء الطاحونة فإنها لم تستعمل لتوليد الكهرباء بل لطحن القمح وهكذا جلبت للمزرعة مالاً كثيراً. ومن ثم بدأت الحيوانات تبني طاحونة هواء أخرى التي قيل أنها ستجهز بالمولدات الكهربائية.

وأما الكماليات التي علّم سنوبول الحيوانات أن تحلم بها كالاصطبلات المجهزة بالنور الكهربائي والماء البارد والساخن وأسبوع العمل المؤلف من ثلاثة أيام فقط فلم يعد أحد يذكرها بل إن نابليون قد هاجمها علىأنها تتعارض ومبدأ الحيوانية وقال إن السعادة الحقيقية تنبع من العمل بجد والعيش بتقشف.

وقد بدا أن المزرعة قد جمعت ثروة كبيرة ولكن الحيوانات نفسها لم تجن أي ثروة ماعدا ـ طبعاً ـ الخنازير والكلاب وربما عاد ذلك إلى أنه كان هناك الكثير من الخنازير والكلاب في المزرعة. ولقد قامت هذه الحيوانات الأخيرة بمهمات خاصة ـ فهناك سكويلر الذي لم يكلّ أبداً من الشرح والمراقبة والتنظيم في المزرعة ومعظم هذا العمل لا تستطيع الحيوانات

الأخرى أن تقوم به لجهلها المدقع.

وعلى سبيل المثال أخبرهم سكويلر أن الخنازير عملت ساعات طويلة يومياً في أشياء غامضة تسمى "المصنفات" ، "التقارير" ، "التفاصيل" ، "والمذكرات" وكلها قطع كبيرةمن الورق مغطاة بالكتابة والتي كانت تحرق في الفرن بعد الانتهاء منها. وهذا العمل هو أهم ناحية لازدهار المزرعة على حد قول سكويلر ورغم ذلك كله فلم تنتج الكلاب ولا الخنازير (وهم كثرة) أية أغذية بعملهم هذا ولكن شراهتهم للطعام كانت دائماً كبيرة.

أما بقية الحيوانات فقد سارت حياتهم كالمعتاد جاعوا وناموا على القش وشربوا من البركة وعملوا في الحقول وكان البرد يزعجهم في الشتاء والذباب في الصيف وكثيراً ماحاول الكبار منهم أن يقرروا ما إذا كانت الأحوال في الأيام الأولى للثورة بعد نفي جونز ما إذا كانت أحسن أم أسوأ، ولكن بدون جدوى إذ لم يكن هناك أي شيء ليقارن بالحياة الحاضرة لم تكن هناك أية مستندات لهذا الغرض سوى قوائم سكويلر الطويلة التي برهنت أرقامها على أن الأحوال في المزرعة سارت دائماً من حسن إلى أحسن ولم تجد الحيوانات حلاً لهذه المشكلة بل لم يكن لديهم وقت للتفكير فيها أما بينجامين فقد اعترف باستطاعته على تذكر كل تفاصيل حياته الماضية الطويلة وأن الأحوال لم ولن تتغير - الجوع، المصاعب، وخيبة الأمل - هذا هو قانون الحياة الثابت. ولكن الحيوانات لم تتخل عن الأمل كما أنهم لم يضيعوا (ولو لحظة واحدة) شعور الافتخار والامتياز المتأتي عن كونهم مواطنين في مزرعة الحيوان التي لازالت المزرعة الوحيدة في المقاطعة بل في البلاد التي تملكها وتديرها الحيوانات ولم تفتأ الحيوانات (حتى صغار الحيوان أو الناشئة منهم، أن يعجب لذلك واهتزت قلوبهم فخراً كلما سمعوا طلقات البندقية أو رأوا العلم يرفرف عالياً وكان الكلام دائماً ينتهي

إلى ذكر تلك الأيام البطولية وطرد جونز وكتابة الوصايا السبعة وتلك المعركة التي انهزم فيها الآدميون ولم تهجر الحيوانات أياً من أحلامها، فلا زالت تعتقد بجمهورية الحيوان التي ستغطي البلاد كلها حيث لا يوجد آدميون وستتحقق في المستقبل لا محالة - وربما لم يكن هذا التحقيق في المستقبل القريب وربما لم يكن في أيام الحيوانات التي تعيش في المزرعة الآن ولكنها ستتحقق على أي حال يوماً ما . وحتى نشيد "ياحيوانات انجلترا" لازالت الحيوانات تذكره وتنشده سراً في بعض الأحيان وتعّلمه لصغارها رغم أنها لم تجرؤ على إنشاده علناً ربما كانت الحياة قاسية وربما لم تتحقق كل أحلامهم وأمانيهم ولكن كانوا يعرفون حق المعرفة أنهم أحسن حالاً من الحيوانات الأخرى فإذا جاعوا فليس مرد ذلك إلى إطعام الآدميين المستبدين وإذا عملوا طويلاً فإنما هم يعملون لأنفسهم. ويكفي أنه لم يكن هناك من يمشي على قدمين أو يكفي اختفاء كلمة "سيد" من حياتهم كل الحيوانات متساوون في الحقوق والواجبات وفي أحد الأيام في أوائل الصيف أمر سكويلر الأغنام أن يتبعوه وقادهم إلى قطعة أرض في نهاية المزرعة مغطاة بشجيرات البتولا حيث قضوا يومهم كله في قضم الأوراق تحت إشراف سكويلر الذي عاد إلى البيت في المساء وأمر الأغنام أن تبقى حيث هي نظراً لجودة الطقس وطال بقاؤهم هناك عدة أسابيع.

لم يرهم خلالها أي من الحيوانات في المزرعة وكان سكويلر يقضي معظم يومه في مراقبتهم ويقول لبقية الحيوانات أنه يعلّم الأغنام أغنية جديدة تحتاج إلى الخلوة.

وبعد عودة الأغنام إلى حظائرهم بقليل وفي أحدى الأمسيات الجميلة بينما كانت الحيوانات عائدة من أعمالها سمع الجميع صهيل جواد خائف من ساحة المزرعة وتوقفوا في أماكنهم ثم عادت كلوفر إلى الصهيل مرة

أخرى وجرت الحيوانات إلى الساحة لتستطلع الخبر وعند وصولهم رأوا ما أفزع كلوفر رأوا سكويلر يمشي على ساقيه الخلفيتين ببعض الصعوبة نظراً لثقله ولكن توازنه كان جيداً وهو يتجول في ساحة المزرعة.وبعد بضع لحظات خرج خط طويل من الخنازير من البيت وكلهم يمشون على الساقين الخلفيتين فقط وظهر أن بعضهم كان أمهر من الآخرين الذين تأرجحوا في مشيتهم وبدوا بحاجة إلى عصاة تساعدهم ولكن الجميع أتموا جولتهم في ساحة المزرعة بنجاح وأخيراً تعالى نباح الكلاب وصياح الديك الأسود وخرج نابليون نفسه منتصباً على ساقيه الخلفيتين وينظر حوله بتكبر وكلابه تقفز حوله وهو يحمل سوطاً بين كوارعه وساد صمت رهيب وتجمهرت الحيوانات الخائفة المندهشة تراقب هذا الخط الطويل يسير ببطء حول الساحة وبدا كأن العالم قد انقلب رأساً على عقب وبعد أن صحت الحيوانات من دهشتها حاولت أن تطلق صرخات الاحتجاج رغم خوفها من الكلاب ورغم العادة (التي نمت خلال سنين طويلة) من عدم الشكوى وعدم النقد مهما حدث ولكن الأغنام في تلك اللحظة أطلقت ثغاء حاداً تنشد: - ذو أربعة جيد وذو أثنين أجود واستمرت لمدة خمس دقائق مما أضاع اللحظة المناسبة للاحتجاج إذ أن الخنازير دخلت البيت.

وشعر بينجامين بخطم يلمس كتفه وعندما استدار وجد كلوفر بعينيها الضعيفتين تومئ له بالذهاب إلى آخر الاصطبل الكبير حيث كتبت الوصايا السبع وحيث وقفا ينظران إلى الجدار المزفت بحروفه البيضاء الكبيرة ثم قالت كلوفر إن نظري ضعيف ولكني لم أستطع قراءة ما كتبت حينما كنت صبية إن الجدار يبدو لي مختلفاً عن السابق ألا زالت الوصايا السبعة هناك يا بينجامين؟ وللمرة الأولى وافق بينجامين على مخالفة قاعدته وقرأ ماكتب على الجدار فلم يكن هناك سوى وصية واحدة تقول: "كل

الحيوانات متساوية (في الحقوق والواجبات) ولكن بعض الحيوانات متساوية أكثر من بعضها الآخر".

وفي اليوم التالي لم تستغرب الحيوانات رؤية الخنازير التي تراقب العمل في المزرعة وهي تحمل السياط بين كوارعها ولم تستغرب نبأ شراء الخنازير مذياعا جديدا وقرارهم بشراء هاتف للمزرعة واشتراكهم في مجلات أسبوعية كمجلة جون بول ومجلة تيتبيش وجريدة الديلي ميرور ولم تستغرب رؤية نابليون يتجول في الحديقة وهو يدخن غليون ولا حتى رؤية الخنازير وهي ترتدي ثياب مستر جونز وخنزيرة نابليون المفضلة وهي ترتدي ثوب مسز جونز الحريري الذي اعتادت مسز جونز أن تلبسه أيام الأحد.

وبعد ظهر أحد الأيام (بعد حوالي أسبوع) أتى عدد كبير من العربات إلى ساحة المزرعة تُقِلّ وفداً من أصحاب المزارع المجاورة المدعو ليتفقد المزرعة وعندما تفقد الوفد المزرعة أبدى إعجابه بكل مارأى وخاصة الطاحونة.

وكانت الحيوانات تستأصل الأعشاب من حقول اللفت وتعمل بكل جد ونشاط لا تكاد ترفع رأسها من الأرض ولا تدري ممن تهاب أكثر الخنازير أم الزوار الآدميين.

وفي المساء تعالى الضحك والغناء الآتي من بيت المزرعة وفجأة وعند سماع مزيج من الأصوات اعترى الحيوانات حبَ الاستطلاع والدهشة. ترى ماذا يحدث الآن في الداخل وقد اجتمع الإنسان والحيوان لأول مرة على قدم المساواة؟ وأخذت الحيوانات تزحف معاً بهدوء إلى حديقة بيت المزرعة وتوقفوا عند البوابة خوفا من الاستمرار ولكن كلوفر تقدم داخلا وتبعته بقية الحيوانات وأخذت الطويلة منها تطل من نافذة غرفة الطعام حيث رأت بضعة مزارعين وبضعة خنازير بارزة تجلس حول المائدة يتوسطهم جميعاً

نابليون وبدت الخنازير مرتاحة جداً في كراسيها والحفل يستمتع بلعبة ورق ثم توقفوا لبرهة قصيرة ليشربوا نخبا على مايظهر وأخذ أحد الخدم يملأالكؤوس من كوز كبير مملوء بالبيرة ولم يلاحظ أحد المحتفلين وجوه الحيوانات المذهولة المطلة من النافذة.

ووقف مستر بيلكينجتون صاحب مزرعة فوكسوود ورفع كأسه وقال أنه سيطلب من الحاضرين أن يشربوا نخبا بعد أن يلقي كلمة صغيرة فقال:- إنه لمصدر سعادة له (ومتأكد لجميع الحاضرين أيضا) أن فترة طويلة من عدم الثقة وعدم التفاهم قد مرت الآن لقد مرت فترة (ليس بالنسبة له أو للحاضرين) كان فيها جيران أصحاب مزرعة الحيوان الآدميين يشعرون بنوع من العداء أو على الأقل الريبة تجاه أصحاب مزرعة الحيوان المحترمين. لقد حدثت بعض الحوادث المؤسفة كمانمت بعض الأفكار الخاطئة لقد شعر هؤلاء الجيران أن وجود مزرعة تملك وتدار من قبل الخنازير وجود غير طبيعي يمكن أن يؤدي إلى عدم الاستقرار في المنطقة كما افترض الكثير من المزارعين (بدون تحقق) أن روح الفجور والفوضى ستعم المزرعة وأن تأثير ذلك علىحيواناتهم وحتى موظفيهم الآدميين سيكون بالغاً ولكن هذه الشكوك والمخاوف قد تبددت الآن واليوم زار مع أصدقائه مزرعة الحيوان وتفقدوا كل شبر منها بأنفسهم فماذا وجدوا؟ لم يجدوا فقط الطرق الحديثة بل نظاما يجب أن يكون مثالاً يحتذى للمزارعين في كل مكان واعتقد أنه صادق حين يقول أن الحيوانات الصغيرة تعمل بنشاط أكثر في مزرعة الحيوان لقاء كمية طعام أقل من الحيوانات في المقاطعة. ولقد لاحظ هو ورفاقه كثيراً من الخصائص التي ينوون تطبيقها في مزارعهم حالاً. وانهى كلمته بتأكيده بأن شعوراً ودياً يعم ويجب أن يعم بين مزرعة الحيوان وجيرانها. وليس بين الآدميين والخنازير أي تضارب في المصالح إطلاقاً،

فنضالهم واحد ومصاعبهم واحدة. أليست مشكلة العمل واحدة في كل مكان. وهنا بدا واضحاً أن مستر بيلكينجتون كاد يبدأ بعض الفكاهات المهيّأة بعناية تامة ولكنه غلب على أمره لعدة لحظات مما جعله عاجزاً عن التفوه بها. وبعد سعال حاد أحال لون ذقنه إلى لون بنفسجي تفوه بالفكاهة قائلاً: ـ

إذا كنتم تعالجون مشكلةالحيوانات العاملة فإن علينا أن نعالج مشكلة طبقاتنا الكادحة.

هذه النكتة جعلت الجميع يغرقون في الضحك. ثم هنأ مستر بيلكينجتون مرة ثانية على المخصصات الغذائية القليلة وساعات العمل الطويلة وغياب المغالاة في مزرعة الحيوان. وقال في النهاية أنه يطلب من الحاضرين ان ينهضوا ويتأكدوا من أن كؤوسهم مترعة وقال: ـ أيها السادة إني أدعوكم لشرب نخب ازدهار مزرعة الحيوان".

وتلا ذلك الكثير من عبارات التحية والانشراح وبدا نابليون مسروراً لدرجة أنه أتى ليدق كأسه مع كأس مستر بيلكينجتون قبل شربه. وبعد أن صمت الجميع قال نابليون أنه يريد إلقاء كلمة قصيرة، تشبه خطب نابليون في قصرها ومغزاها فقال إنه سعيد جداً لأن فترة عدم التفاهم قد مرت. لقد مرت فترة طويلة كانت الإشاعات خلالها تروج من قبل الأعداء الألداء على أن هناك ما يوحي بالتخريب والثورية في سلوكه وسلوك رفاقه. لقد عُزي اليهم انهم يحاولون اشعال نار الثورة بين حيوانات المزارع المجاورة، ولا شيء أبعد عن الصدق من هذه التهمة. فرغبتهم الوحيدة، في الماضي والحاضر، أن يعيشوا بسلام وتنمو بينهم وبين جيرانهم علاقات عادية طيبة. وهذه المزرعة التي له شرف مراقبتها هي مغامرة تعاونية، وملكيتها مشتركة بين الخنازير. وقال إنه يعتقد أنه لم يبق شيء من الشكوك القديمة ولكن

هناك بعض التغيرات في روتين العمل في المزرعة والتي يجب أن تغرس أكبر الثقة. فلقد اعتادت الحيوانات أن تنادي بعضها بلقب "رفيق" وهذا يجب أن يزول. كما أن هنالك عادة أخرى لا يعرف منشأها تقضي بالسير كل صباح يوم أحد أمام جمجمة خنزير مثبتة على عمود في الحديقة، وهذه العادة يجب أن تزول أيضاً وأن الجمجمة قد دفنت في الأرض. والعلم الأخضر نفسه المزين بصورة والقرن والحافر الأبيض والمرفوع على سارية. هذا العلم قد زال منه القرن والحافر الآن وسيكون العلم أخضر فقط.

وليس لديه سوى نقد واحد يوجهه إلى خطاب مستر بيلكينجتون الممتاز. لقد كان يسمي المزرعة في خطابه مزرعة الحيوان ولكن نابليون أذاع لأول مرة أن هذا الاسم قد ألغي وأن المزرعة ستدعى باسمها الأصلي "مزرعة الحانوت" وختم نابليون خطابه قائلاً: - أيها السادة سأدعوكم لشرب النخب السابق ولكن بصيغة مختلفة. املأوا كؤوسكم واشربوا هذا النخب - نخب ازدهار مزرعة الحانوت -.

وتلا ذلك الكثير من التحية والانشراح وأفرغت جميع الكؤوس. غير أن الحيوانات الواقفة في الخارج شعرت أن هناك بعض التغيّر. لقد كانت كلوفر تنقل عينيها من وجه خنزير إلى آخر. وظنت أنها ترى أربع ذقون أو خمس في كل وجه، ولكن ما الذي بدا كأنه يذوب ويتغير. وعندها. توقف الحاضرون عن التصفيق وعادوا إلى لعب الورق، وانسحبت الحيوانات في الخارج بكل هدوء. وبعد أن مشوا حوالي عشرين ياردة توقفوا فجأة إذ سمعوا ضجيجاً من البيت مما جعلهم يهرعون نحوه وينظرون من النافذة. لقد كانت هناك مشاجرة. وبين الصراخ والضجيج والنظرات المريبة والنفي القاطع، بين كل هذا بدا أن نابليون ومستر بيلكينجتون قد لعبا نفس الورقة في نفس الوقت.

وكان الغضب يمتزج بالأصوات الاثني عشرة العالية المتماثلة. وعرفت جميع الحيوانات طبيعة التغيّر الذي حدث لوجود الخنازير إذ أن الحيوانات انتقلت ببصرها من وجوه الآدميين إلى وجوه الخنازير وبالعكس، ولكنها عجزت عن أن تفرق بين الوجوه.

تمت

تشرين الثاني ١٩٤٣ ـ شباط ١٩٤٤

جورج أورويل

الفهرس

هذه الرواية

... إنها واحدة من أروع الملاحم الرمزية التي عالجت النكوص عن المبادىء والأهداف، وكيف يتحول البشر في ظل النظام الشمولي إلى قوارض..

إنها ملحمة تجمع ما بين السخرية المريرة، والبصيرة المتقدة لما يمكن أن تصبح عليه دعاوى الإصلاح والتغيير عندما يصنف البشر إلى فئات متفاوتة في الحقوق والمستوى، وعندما يتحول المنهج والنظرية من ناظم للتحرك إلى لافتة وحجاب للتبرير والنكوص والتراجع، والديكتاتورية والقهر.

وجورج أورويل عاش حياة ملؤها البساطة متخلياً عن امتيازات طبقته كما عاش تجارب بالغة الثراء في بورما والهند واسبانيا، جعلته يحتك بأفكار الشرق وأحلامه الرحبة ونبوءاته، فهل استوحى هذه الملحمة من (كليلة ودمنة)؟

لقد حملت نبوءات - أورويل - صورة مرعبة وقاتمة عن الواقع الإنساني في الربع الأخير من القرن العشرين، تأسيساً على ممارسات النظم الشمولية من جهة ونظم القرصنة الرأسمالية من جهة أخرى، وهي نبوءات جديرة بالاهتمام، وجوهرها كان صادقاً وملهماً.

إنها ملحمة ننقلها إلى العربية بمناسبة الاحتفال هذا العام بمرور /٥٠/ عاماً على صدورها لأول مرة، وهي جديرة بالقراءة، والانتباه، عل المسيرة الإنسانية إلى العدالة والمساواة تتجنب الأخطاء وتستخلص العبر، وتفتح باب الأمل لإنسانية مطهرة من المآسي التي تعصف بها هذه الأيام.

الناشر



دار الأنصار - دمشق - ص.ب: ٦٠٣٩٠ - هاتف: ٣١٢١٧٦٧